كيفية حشر الناس يوم القيامة
في ضوء نصوص الكتاب ، والسنة

إعداد

ذياب بن مدحل العلوي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة

الجامعة الإسلامية –المدينة النبوية

من ٢٥٢٧ إلى ٢٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله ، وصحبه ، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن من أعظم روافد الإيمان ، وما يزيده فيوصله إلى الكمال : معرفة تفاصيل يوم القيامة ، وما فيها من شدائد وأهوال ، لا ينجو منها المرء ؛ إلا بحميد الخصال ، وجميل الفعال .

لذا فصل الله ﷻ أمر هذا اليوم ، ففصل ما فيه من دنو شمس ، ونزول رب ﷻ ، ووجود حوض ، وتطاير صحف ، وميزان عمل ، ومرور صراط ... ثم فصل أحوال الناس في كل موطن ، وتباينهم في كل موقف ، ثم أمر ﷻ أن نتقي هذا اليوم ، فأمر أهل الكتاب ممن سبقنا أن يتقوه في قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨] .

وأمر أهل الإيمان من هذه الأمة أن يتقوه ، في قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

وأمر الناس كلهم أن يخشوه ، في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ [لقمان : ٣٣] .

وأخبر أن الكافرين بكفرهم لا يتقون هذا اليوم في قوله : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل : ١٧] .

فحق للمؤمنين أن يكون من صفاتهم أنهم يخافون هذا اليوم ، قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٠] .

وإن مما يحصل في ذلك اليوم من شدائد وأهوال : مرور الناس على الصراط ، فهو موقف عظيم ، وحدث جليل ، وأمر رهيب ؛ فآثرت أن أكتب فيه جهدي ، متتبعا آيات الكتاب ، وأحاديث النبي المختار ﷺ ، تحت عنوان :

كيفية حشر الناس يوم القيامة ؛ في ضوء نصوص الكتاب ، والسنة

فجاء البحث بعد الكتابة والتمحيص ، والإعادة والتدقيق ؛ في مبحثين ؛ تفصيلهما ما يأتي :

المبحث الأول : تعريف الحشر : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الحشر في اللغة .

المطلب الثاني : تعريف الحشر اصطلاحا .

المبحث الثاني : أنواع حشر الناس يوم القيامة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حشر عام لجميع الناس .

المطلب الثاني : حشر على وجه خاص لأصناف مخصوصة .

ثم تأتي الخاتمة تكشف أهم ماجاء في البحث ، سائلا المولى العلي ، أن يوفقني للقول العلي ، والعمل الرضي ، مصليا مسلما على النبي ، وعلى من صحبه على النقي ، واتبعه على السنن المهدي .

ذياب بن مدحل العلوي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة

بالجامعة المباركة الجامعة الإسلامية

بالمدينة المباركة المدينة النبوية

المبحث الأول : كيفية حشر الناس يوم القيامة :

المطلب الأول : تعريف الحشر لغة :

الحشر في اللغة : من : حشر ، يحشر ، حشرا ، فهو حاشر ، ومحشور ، ومحشر[١] .

وأصل الكلمة يدور على الجمع ، وقيل : هو : جمع مع سوق ، فالمحشر : المجمع الذي يحشر إليه القوم ، يقول ابن فارس : (حشر : الحاء ، والشين ، والراء ؛ قريب المعنى من الذي قبله[٢] ، وفيه زيادة معنى ، وهو : السوق ، والبعث ، والانبعاث .

وأهل اللغة يقولون : الحشر : الجمع مع سوق ، وكل جمع حشر ، والعرب تقول : حشرت مَالَ بني فلان السَّنَةُ[٣] ، كأنها جمعته ، ذهبت به ، وأتت عليه)[٤] .

فالحشر : الجمع ، أو الجمع بسوق .

---

(١) انظر : لسان العرب (٣ / ١٨٤) .

(٢) يعني : معنى "حشر" قريب من معنى "حشد" ، وهي الكلمة قبل .

(٣) قال الليث : " إذا أصابت الناس سنة شديدة ، فأجحفت بالمال ، وأهلكت ذوات الأربع ؛ قيل : قد حشرتهم السنة ، تحشرهم ، وتحشرهم ، وذلك أنه تضمهم من النواحي إلى الأمصار"ا.هـ ، معجم تهذيب اللغة (١ / ٨٢٧) .

(٤) معجم مقاييس اللغة ص (٢٤٧) ، وانظر : معجم تهذيب اللغة (١ / ٨٢٧) ، وغريب الحديث لإبراهيم الحربي (١ / ٢٨٢) .

المطلب الثاني : تعريف الحشر اصطلاحا :

معنى الحشر اصطلاحا لا يخرج عن معناه في اللغة ، من الجمع ، أو الجمع مع سوق ، لكن قبل تعريف الحشر اصطلاحا يحسن التنبيه على أن الحشر يوم القيامة حشران : الأول : جمع الناس بعد بعثهم من قبورهم يوم القيامة ، وسوقهم إلى صعيد واحد للحساب والجزاء ، والثاني : جمع الناس يوم القيامة ، وسوقهم إلى الجنة أو النار ، يقول القرطبي : (باب الحشر ، ومعناه : الجمع ، وهو على أربعة أوجه : حشران في الدنيا ، وحشران في الآخرة) ، ثم ذكر حشري الدنيا ، ثم قال : (والحشر الثالث : حشرهم إلى الموقف ... قال الله تعالى : ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٧] . والرابع : حشرهم إلى الجنة والنار ، قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم : ٨٥] ... ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم : ٨٦] ... وقال : ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٣٤])[١] .

الحشر اصطلاحا : هو جمع الناس بعد بعثهم من قبورهم يوم القيامة ، وسوقهم إلى صعيد واحد للحساب والجزاء ، وجمع الناس يوم القيامة ، وسوقهم إلى الجنة أو النار .
والحشر الأول المتبادر إلى الذهن ، والمقصود الأول عند ذكر الحشر .

يقول حسين الحنفي : (أجمع المسلمون على أن الله يحيي الأبدان بعد موتها ، ويبعث الموتى من القبور ، ومن أجواف الوحوش ، ومن حواصيل الطيور ، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية بعد إعادة ما فني منها بعينه ، ويعيد الأرواح إليها ، وهذا هو النشء ، ثم يسوقهم إلى الموقف ، وهذا هو الحشر ، فيجزيهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر)[٢] .

---

(١) التذكرة ص (٥١٥ – ٥٢٠) .

(٢) شرح كتاب الوصية ص (٣٠) ، نقلا عن أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ص (٥٠٦) .

المبحث الثاني : أنواع حشر الناس يوم القيامة :

حشر الناس يوم القيامة جاء في الأدلة على قسمين : الأول : حشر عام لجميع الناس ، الثاني : حشر على وجه خاص لأصناف مخصوصين .

والكلام في هذا المبحث سيكون حول هذين الأمرين .

المطلب الأول : حشر عام لجميع الناس :

يحشر الناس يوم القيامة حفاة ، عراة ، غرلا ، بهما ، وتدنوا الشمس منهم حتى تكون على قدر ميل ، فيعرق الناس على قدر أعمالهم ، وهؤلاء منهم من يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ، ولعله أقصى ما ينزل إليه العرق في الأرض ، ومنهم من يكون عرقه ظاهرا مشاهدا حول جسده ، فعرق كل إنسان خاص به ، فمنهم من يكون عرقه إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يبلغ أنصاف أذنيه ، فيلجمه العرق إلجاما ، ولعله أقصى ما يصل إليه العرق إلى بدن الإنسان ، ومنهم من لا يعرق البتة .

وقد جاء جمع من الأدلة تفصل ما أجمل هنا ، ومنها :

فمن الأدلة على أن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة ، عراة ، غرلا ، بهما ؛ ما يأتي :

أولا : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

يقول الشنقيطي : (ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار يأتون يوم القيامة كل واحد منهم بمفرده ، ليس معهم شركاؤهم ، وصرح تعالى بأن كل واحد يأتي فردا في قوله : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٥] .

وقوله في هذه الآية : ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ، أي : منفردين ، لا مال ، ولا أثاث ، ولا رقيق ، ولا خول عندكم ، حفاة ، عراة ، غرلا ، أي : غير مختونين : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤])[١] .

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف : ٤٨] .

يقول الشنقيطي : (المعنى : يقال لهم يوم القيامة : ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ ، أي : والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، أي : حفاة ، عراة غرلا ، أي : غير مختونين ، كل واحد منكم فرد لا مال معه ، ولا ولد ، ولا خدم ، ولا حشم)[٢] ، ثم ذكر بعض الآيات في هذا .

ثالثا : حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : " إنكم محشورون إلى الله ، حفاة ، عراة ، غرلا[٣] ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤][١] .

---

(١) أضواء البيان (٢ / ١٥٥) .

(٢) أضواء البيان (٤ / ٨٩) .

(٣) يقول العيني في عمدة القاري (١٥ / ٣٦٠) : " فإن قلت : ما فائدة الغلفة يوم القيامة ؟ ، قلت : المقصود أنهم يحشرون كما خلقوا ، لا شيء معهم ، ولا يفقد منهم شيء ، حتى الغرلة تكون معهم ، وقال ابن الجوزي : لذة جماع الأقلف تزيد على لذة جماع المختون ، وقال ابن عقيل : بشرة حشفة الأقلف موقاة بالقلفة فتكون بشرتها أرق وموضع الحس كلما رق كان الحس أصدق كراحة الكف ، إذا كانت موقاة من الأعمال صلحت للحس ، وإذا كانت يد قصار أو نجار خفي فيها الحس ، فلما أبانوا في الدنيا تلك البضعة لأجله أعادها الله ليذيقها من حلاوة فضله ، قال : والسر في الختان مع أن القلفة معفو عن ما تحتها من النجس أنه سنة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – " ، وانظر : فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٩١) .

ويقول الحافظ ابن حجر في الفتح (١١ / ٣٩١) : " قال ابن عبد البر : يحشر الآدمي عاريا ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف "ا.هـ ، ولم أجده في كتب ابن عبد البر .

رابعا : حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يحشر الناس يوم القيامة حفاة ، عراة ، غرلا " ، قلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ ، قال : " يا عائشة ! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض " ، وفي رواية البخاري : " الأمر أشد من أن يهمهم ذاك "(٢) .

خامسا : حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : " تحشرون حفاة ، عراة ، غرلا " ، فقالت امرأة : أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ ، فقال : " يا فلانة ! لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه "(٣) .

سادسا : حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يحشر الناس يوم القيامة – أو قال : العباد – عراة ، غرلا ، بهما " قال : قلنا : وما بهما ؟ ، قال : " ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق ، حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق ، حتى أقصه منه ، حتى اللطمة " ، قال : قلنا : كيف ، وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة ، غرلا ، بهما ؟ ، قال : " بالحسنات ، والسيئات "(٤) .

---

(١) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، ص (٥٥٩) ، رقم : (٣٣٤٩) ، ومسلم ، كتاب الجنة ونعيمها ، باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، ص (١٢٣٩ – ١٢٤٠) ، رقم : (٧٢٠١) ، واللفظ له .

(٢) رواه البخاري الرقاق ، باب الحشر ، ص (١١٣٠) ، رقم : (٦٥٢٧) ، ومسلم ، كتاب الجنة ونعيمها ، باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، ص (١٢٣٩) ، رقم : (٧١٩٨) ، واللفظ له .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة عبس ، ص (٧٦٠) ، رقم : (٣٣٣٢) ، وقال : " حسن ، صحيح " ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣ / ١٢٦) .

(٤) أحمد في المسند (٢٥ / ٤٣٢ – ٤٣١) ، رقم : (١٦٠٤٢) ، وقال محققوه : " إسناده حسن " ، واللفظ له ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٧٥) ، وقال : " صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي ، والطبراني في الكبير (١٣ / ١٣٢) ، والبخاري في الأدب المفرد ص (٥٤٠) ، وقال الألباني : " حسن ".

إشكال وتوجيهه :

جاء من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها "[١] ، وفي رواية : " التي قبض فيها "[٢] .

يقول ابن عبد البر : (من قال : إن الموتى جملة يبعثون على هيئاتهم احتج بحديث)[٣] ، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

ووجه الإشكال : أن ظاهر هذا الحديث يشكل مع النصوص المخبرة بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة ، عراة ، غرلا .

وقد سلك أهل العلم تجاه هذا الإشكال مسلكين :

المسلك الأول : ترجيح حديث ابن عباس ﷺ ، وما في معناه ؛ على حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، وما في معناه ، يقول ابن الخراط بعد أن ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : (وما روي من قوله ﷺ : " إن الناس يحشرون حفاة عراة " أصح من هذا ، وأشهر)[٤] .

---

(١) رواه أبو داود ، كتاب الجنائز ، باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت ، ص (٤٥٦) ، رقم : (٣١١٤) ، وقال النووي في المجموع (٥ / ٢٠٨) : " إسناد صحيح ، إلا رجلا مختلفا في توثيقه وقد روى له البخاري في صحيحه " ، وقال الأرنؤوط في تعليقه على شرح السنة للبغوي (٥ / ٣١٦) : " إسناده صحيح " ، والبيهقي (٣ / ٣٨٤) ، والحاكم في المستدرك (١ / ٣٤٠) ، وقال : " صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي ، ووافقهما الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٧١) .

(٢) المصنف لعبد الرزاق (٣ / ٤٣٠) ، وابن حبان (١٦ / ٣٠٧) ، رقم : (٧٣١٦) ، وقال محققه : " إسناده على شرط مسلم " .

(٣) التمهيد (٧ / ١٣) .

(٤) الأحكام الشرعية الكبرى (٢ / ٤٨٦) .

الثاني : الجمع بين الحديثين ، وقد اختلفوا في الجمع على أقوال[١] ، منها :
القول الأول : أن البعث غير الحشر ، فالبعث يكون مع الثياب ، والحشر يكون بدون الثياب ، فهم يبعثون في بداية الأمر من قبورهم في ثيابهم التي ماتوا فيها ، ثم تبلى ، فيوافون الحشر ولا ثياب عليهم .
وهذا جمع حسن ، وحمل لكلا الحديثين على ظاهره ، وعمل بهما ، فإن في حديث أبي سعيد ﷺ " يبعث " ، وفي حديث ابن عباس " يحشر " ، وفرق بين البعث ، والحشر ، فالبعث من القبور ، والحشر المجيء لأرض المحشر ، يقول الخطابي : (أما أبو سعيد فقد استعمل الحديث على ظاهره)[٢] .
ويقول البغوي : (أبو سعيد حمل الحديث على ظاهره)[٣] .

---

(١) انظر : التمهيد (٧ / ١٣) ، وشعب الإيمان للبيهقي (١ / ٥٤٩) ، والتذكرة للقرطبي (٢ / ٥٣٦ – ٥٣٧) ، وفتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٩١) ، ومعالم السنن للخطابي (٣ / ٤٨٥) ، وجامع المسائل لابن تيمية (٤ / ٢٢٥) ، وتهذيب السنن لابن القيم (٣ / ١٤٨٠) ، وشرح السنة للبغوي (٥ / ٣١٦) .

فائدة : قال الإمام السيوطي في الحاوي (٣٩٥/١) وأخرج الدنيوري في المجالسة عن الحسن قال : " يحشر الناس كلهم عراة ما خلا أهل الزهد ، فالأنبياء من باب أولى " ، ثم قال : " وهذا له حكم المرفوع المرسل " ، وفيه نظر لمخالفته ما صح عن النبي ﷺ أن أول من يكسى إبراهيم ، ففيه أن الناس يحشرون عراة ، والزهاد من الناس ، والله أعلم .

فائدة : قال طرح التثريب في شرح التقريب (٧ / ٢٠١) : " قلت : والحديث المذكور رواه أبو داود في سننه ، ويحتمل أن أبا سعيد ﷺ إنما نزع الثياب التي كانت عليه لنجاسة فيها إما محققة ، وإما مشكوكة فأراد أن يكون بثياب محققة الطهارة ، وهذا من جملة الأعمال المأمور بالمحافظة عليها ، ولا سيما عند اختتام الآجال فإن الإنسان محثوث على أن يختم أعماله بالصالحات في جميع الأمور فإن الأعمال ، والله أعلم "ا.هـ ، وقال البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٥٣٩) : " باب ما يستحب من تطهير ثيابه التي يموت فيها " ، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٢) معالم السنن (٣ / ٤٨٥) .

(٣) شرح السنة (٥ / ٣١٦) ، وانظر : التذكرة للقرطبي (٢ / ٥٣٦ – ٥٣٧) ، والفتح (١١ / ٣٩١) ، ومعالم السنن للخطابي (٣ / ٤٨٥) ، وتهذيب السنن لابن القيم (٣ / ١٤٨٠) .

ويقول العيني : (الحديث يدل على أن الميت يبعث في ثيابه ، وأما عريه وحفاه فذاك عند الحشر ، والحشر غير البعث ، والله أعلم)[١] .

وقد استبعد بعض أهل العلم هذا الجمع ، قال المباركفوري : (وهذا الكلام بعيد في غاية البعد)[٢] ، ولم يذكر وجه بعده .

وقال الطيبي : (قد رأى بعض أهل العلم الجمع بين الحديثين ؛ فقال : البعث غير الحشر ، فقد يجوز أن يكون البعث مع الثياب ، والحشر على العري والحفا .

قال الشيخ : ولم يضيع[٣] هذا القائل شيئا ، فإنه ظن أنه نصر السنة ، وقد ضيع أكثر مما حفظ ، فإنه سعى في تحريف سنن كثيرة ليسوي كلام أبي سعيد ، وقد روينا عن أفضل الصحابة أنه أوصى أن يكفن في ثوبيه ، وقال : إنما هما للمهل والتراب .

ثم إن النبي ﷺ قال في هذا الحديث : " الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها " وليس لهم أن يحملوها على الأكفان ؛ لأنها بعد الموت)[٤] .

وهذا الذي رده الطيبي هو ظاهر الحديث ، ولا مانع منه عقلا ، ولا شرعا ، فإن (العقل لا يأبى حمله على ظاهره حسب ما فهم منه الراوي ، إذ لا يبعد إعادة ثيابه البالية ، كما لا يبعد إعادة عظامه الناخرة ، فإن الدليل الدال على جواز إعادة المعدوم لا تخصيص له بشيء دون شيء)[٥] .

القول الثاني : أن هذا يكون في المحشر ، فيكسى الأنبياء ، ثم الصديقون ؛ كل من جنس ما يموت فيه ، ثم إذا دخلوا الجنة ألبسوا من ثياب الجنة .

---

(١) شرح سنن أبي داود للعيني (٦ / ٣٢) .

(٢) مرعاة المفاتيح (٥ / ٣٥٢) .

(٣) ذكر المحقق أنها هكذا في المخطوط ، وأنها في المطبوع " يصنع " .

(٤) شرح الطيبي على المشكاة (٣ / ٣٧١) .

(٥) شرح الطيبي على المشكاة (٣ / ٣٧٢) .

وهـذا – والله أعلـم – ضـعيف ، لأن الحـديث صـريح في أنـه يبعـث في ثيابـه الـتي مـات فيها ، وما يكساه الناس يوم القيامة لم يمت فيه ، وهو فهم الصحابي راوي الحديث فقد أتى بثياب جدد فلبسها .

القول الثالث : أن بعضهم يبعث كاسيا ، وبعضهم يبعث عاريا .

وهذا – والله أعلم – ضعيف ، فهو معارض بعموم ظاهر الحديث ، فالألف واللام في " الميت " لعموم الجنس فهي بمنزلة كل ، أي : كل ميت يبعث في ثيابه التي مات فيها ، ثم مَنْ مِنَ الأموات يبعث عاريا ، ومن منهم يبعث كاسيا ؟ ، سؤال يحتاج إلى إجابة من هؤلاء .

القول الرابع : أن هذا الحديث خاص بالشهداء ، فيحمل حديث أبي سعيد ﷺ على الشهداء ؛ إذ أمرنا أن ندفنهم في ثيابهم ، ويحمل حديث ابن عباس ﷺ في حشر الناس عراة على غيرهم ؛ جمعا بين الأدلة .

يقول ابن عبد البر : (هذا قد يحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد ، فتأوله على العموم ، ويكون الميت المذكور في حديثه هو الشهيد ؛ الذي أمر أن يزمل بثيابه ، ويدفن فيها ، ولا يغسل عنه دمه ، ولا يغير شيء من حاله ؛ بدليل حديث ابن عباس وغيره عن النبي أنه قال : " إنكم محشورون يوم القيامة حفاة ، عراة ، غرلا ")[١] .

وهذا – والله أعلم – ضعيف ، وهو معارض بعموم " الميت " ، وبفهم الصحابي راوي الحديث ، وهو أفقه بمعنى ما يرويه ، ثم القول بأن الصحابي سمعه في الشهيد وحكاه وتأوله على العموم فيه ما فيه .

---

(١) التمهيد (٧ / ١٣) ، وانظر : التذكرة للقرطبي (٢ / ٥٣٦) .

القول الخامس : **أن المراد بالثياب الكفن ، وهو قول معاذ ﷺ ، لما رواه عمير بن الأسود ، قال** : **أوصاني معاذ بامرأته ، وماتت ، فدفناها ، فجاءها وقد رفعنا أيدينا عن قبرها ، فقال** : **بأي شيء كفنتموها ؟ ، فقلنا** : **في ثيابها ، فأمر بها فنبشت ، وكفنها في ثياب جدد ، وقال** : **أحسنوا أكفان موتاكم ؛ فإنهم يحشرون فيها "** [١] .

وهذا إن كان المراد بالكفن الثياب التي يلبسها الميت عند موته ، وأنه لا يحشر فيها ؛ فهو - والله أعلم - ضعيف فإن في الحديث أنه يبعث في الثياب التي يموت فيها ، يقول الهروي : (**ليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء ؛ لأن الميت إنما يكفن بعد الموت**)[٢] .

وعقب عليه المنذري بعد أن ذكره ، فقال : (وفعل أبي سعيد راوي الحديث يدل على إجرائه على ظاهره ، وأن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها ، وفي الصحاح وغيرها : " أن الناس يبعثون عراة " ، كما سيأتي في الفصل بعده إن شاء الله ، فالله – سبحانه – أعلم)[٣] .

القول السادس : أن المراد بالثياب هنا الأعمال ، فيبعث كل إنسان على ما مات عليه من عمل ، صالحا كان ، أو سيئا .

---

(١) الأهوال لابن أبي الدنيا ص (١٨١) ، والنفقة على العيال (٢ / ٧٠٦) وحسن إسناده المباركفوري في تحفة الأحوذي (٧ / ١٥٣) .

(٢) الترغيب والترهيب ص (٦٦٥) .

(٣) الترغيب والترهيب ص (٦٦٥) .

وقالوا : إن اللباس يطلق ويراد به العمل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤] ، قال قتادة : وعملك فأصلح ، وقال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

والعرب تقول : فلان طاهر الثياب ، أي : طاهر النفس ، بريء من الدنس ، والعيب ، وتقول : دنس الثياب إذا كان بخلاف ذلك .

وممن ذهب إليه : أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[١] ، وأبو حاتم ، وابن حبان[٢] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٣] ، وابن كثير[٤] .

قالوا ويؤيد هذا أمور :

الأول : الأحاديث التي فيها أن الناس يحشرون حفاة ، عراة ، غرلا ، بهما ، مما يدل على أن المراد بالثياب العمل .

وهذا مؤيد بعدد من الآيات القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

الثاني : حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه "[٥] .

الثالث : أنه يتوجه القول بأن الميت يبعث على ما يموت عليه من خير أو شر ، (وأما ثوبه الذي كان عليه وقت الموت فلا مناسبة في بعثه فيه ، فقد تموت الأنبياء والصالحون في الثياب الرثة ، وقد يموت الكفار والمنافقون في ثياب حسنة ، فهل يكون قيام الكفار

---

(١) انظر : الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة للزركشي ص (١٣٢) .

(٢) انظر : صحيح ابن حبان (١٦ / ٣٠٨ - ٣١١) .

(٣) انظر : جامع المسائل لابن تيمية (٤ / ٢٢٧) .

(٤) يقول ابن كثير في النهاية (١ / ٣٢١) : " الإنسان يبعث يوم القيامة في ثياب عمله من خير أو شر" ، ثم ذكر حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، والأقوال فيه .

(٥) سيأتي تخريجه برواياته ، وما يتعلق به قريبا .

والمنافقين من قبورهم أجمل وأبهى من قيام الأنبياء والمؤمنين ؟ ، ولو كان صحيحا لكان تكفينه في ثيابه التي مات فيها ويبعث فيها أولى من تكفينه في غيرها ، وليس الأمر كذلك ، بل قد يختلف الحكم في ذلك .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه " ، وقد روي أن النبي ﷺ أمر بشد الفخذ في بعض الجنائز ، وقال : " إن هذا لا يغني شيئا ، وإنما تطيب نفس الحي " ، ولو كان الميت يبعث في ثياب موته لوردت السنة بتجميلها ، وأما الأكفان فلا أصل لكونه يبعث فيها بحال)[١] .

الرابع : أن هذا القول يؤيده النظر ، فإن (الملابس في الدنيا أموال ، ولا مال في الآخرة مما كان في الدنيا ، ولأن الذي يقي النفس مما تكره في الآخرة ثواب بحسن عملها ، أو رحمة مبتدأة من الله ، وأما ملابس الدنيا فلا تغني عنها شيئا ، قاله الحليمي)[٢] .

وهذا القول – والله أعلم – ضعيف ، فليس من سنن نصوص الكتاب والسنة العدول عن اللفظ الواضح ، والمعنى المتبادر منه إلى لفظ يراد به معنى بعيدا خلاف ظاهره ، فلو أراد النبي ﷺ العمل لقال : العمل ، بدل الثياب .

ويؤيده أن النبي ﷺ قد أخبر أن الميت يبعث على عمله التي مات عليه ، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه " ، فلم عبر هنا باللفظ الصريح ، والعبارة الواضحة ، وعبر هنا بلفظ الثياب ، وأراد معنى بعيدا " العمل " لا يتبادر إلى الذهن من إطلاق اللفظ ، وهذا واضح من فعل أبي سعيد رضي الله عنه راوي الحديث ، والله أعلم .

يقول الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر هذا القول : (والقصة التي في حديث أبي سعيد ترد ذلك ، وهو أعلم بالمراد ممن بعده)[٣] .

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٤ / ٢٢٧) .

(٢) نقلا عن فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٩١) .

(٣) التلخيص الحبير (٣ / ١١٧١) .

وأيضا : لا يعني أن المنافقين والكافرين أجمل في بعثهم من المؤمنين والأنبياء إن كانت ثيابهم أحسن ، لأنهم يبعثون على أعمالهم أيضا ، ثم إن الثياب لا تبقى حتى يقال هذا ، بل تبلى ، ويوافون الحشر ولا ثياب عليهم .

وأيضا : فإن الأحاديث جاءت بتحسين الكفن ، وأن الميت يبعث في ثيابه ، وأنه قد يكسى يوم القيامة ، وحمل أحدها على الآخر خطأ .

وقد أشار إلى هذا العيني في قوله : (قلت : ذكرُ الخطابي الكفنَ في هذا الموضع ليس له وجه ، لأن الكلام في الثياب التقي يموت فيها الميت ، وهي غير الكفن ، نعم ، وردت أحاديث في تحسين الكفن ، ولكن ليس لذلك تعلق بما نحن فيه ، وإنما قال ﷺ هذا القول ترغيبا لمن حضره الموت أن يلبس أحسن ثيابه وأنظفها في ذلك الوقت ، لأنه وقت قدومه على الرب الكريم ، ووقت اتصاله بجواره ، فينبغي أن يكون في ذلك الوقت على هيئة حسنة نظيفة)[١] .

أما من قال : إنه لا مال في الآخرة ، والملابس مال ، فإنه لا ترد الأحاديث الصحيحة بمثل هذا ، وقد ورد مثله أو قريب منه في مانع الزكاة فيأتيه ذهبه ، وفضته ، وأنعامه ؛ ليعذب بها ، والله أعلم .

يقول ابن عبد البر : (وقد زعم بعض أهل العلم قوله ﷺ : " يبعث الميت في ثيابه التي قبض فيها " ، أي : يعاد خلق ثيابه له كما يعاد خلقه .

وقال غيره : إنما ذلك قول خرج على المجاز فكنى بالثياب عن الأعمال والثياب ، كما يقال : طاهر الثوب ، ونقي الجيب .

قال أبو عمر : وحمل هذا الحديث على المجاز مروي من حديث ابن عباس وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : " يحشر الناس عراة غرلا ، وأول من يكسى إبراهيم " ، فعلى هذا يحتمل أن يبعث على ما مات عليه من كفر وإيمان ، وشك وإخلاص ، ونحو ذلك .

---

(١) شرح سنن أبي داود للعيني (٦ / ٣٢) .

والحقيقة في كل ما يحتملها اللفظ من الكتاب والسنة أولى من المجاز ، لأن الذي يعيده خلقا سويا يعيد ثيابه إن شاء)[١] .

ومن الأدلة على دنو الشمس من الخلائق يوم القيامة :

أولا : حديث المقداد بن الأسود ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق ، حتى تكون منهم كمقدار ميل " ، – قال سليم بن عامر : فو الله ! ما أدري ما يعني بالميل ؟ أمسافة الأرض ، أم الميل الذي يكحل به العين – قال : " فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما " ، قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[٢] .

ثانيا : حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : " إن الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده أهل الجمع كلهم "[٣] .

ومن الأدلة على أن الناس يعرقون يوم القيامة ما يأتي :

أولا : حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] قال : " يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه " ، وفي رواية مسلم :

---

(١) الاستذكار (٤ / ٩٨ – ٩٩) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الجنة ونعيمها ، باب في صفة يوم القيامة ، ص (١٢٤١) ، رقم : (٧٢٠٦) .

(٣) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثرا ، ص (٢٣٩) ، رقم : (١٤٧٥) .

" يقوم الناس "[١] ، وفي رواية : " حتىٰ يغيب أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه "[٢]
.

يقول النووي : (قوله ﷺ : " يقوم أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه " ، وفي رواية : " فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق " : قال القاضي : ويحتمل أن المراد عرق نفسه وغيره ، ويحتمل عرق نفسه خاصة ، وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال ، ودنو الشمس من رؤوسهم ، وزحمة بعضهم بعضا)[٣] .

ثانيا : حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " يعرق الناس يوم القيامة حتىٰ يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ، ويلجمهم حتىٰ يبلغ آذانهم" ، وفي رواية مسلم : " إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعا ، وإنه ليبلغ إلىٰ أفواه الناس ، أو إلىٰ آذانهم "يشك ثور أيهما قال[٤] .

قال أبو محمد بن أبي جمرة : (ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك ، ولكن دلت الأحاديث الأخرىٰ علىٰ أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ، ويستثنىٰ الأنبياء ، والشهداء ، ومن شاء الله ، فأشدهم في العرق الكفار ، ثم أصحاب الكبائر ، ثم من

---

(١) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ص (١١٣١) ، رقم : (٦٥٣١) .

(٢) البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ص (٨٨١) ، رقم : (٤٩٣٨) ، ومسلم ، كتاب الجنة ونعيمها ، باب في صفة يوم القيامة ، ص (١٢٤٠) ، رقم : (٧٢٠٤) .

(٣) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (١٧ / ١٩٢ – ١٩٣) .

(٤) البخاري كتاب التفسير ، باب ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ص (٨٨١) ، رقم : (٦٥٣٢) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الجنة ونعيمها ، باب في صفة يوم القيامة ، ص (١٢٤١) ، رقم : (٧٢٠٥) .

بعدهم ، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار ، كما تقدم تقريره في حديث بعث النار)[١] .

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٤٠٢) .

المطلب الثاني : حشر على وجه خاص لأصناف مخصوصة :

بوجه عام كل شخص يبعث يوم القيامة على ما مات عليه في الدنيا ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه "[١] ، وفي رواية : " من مات على شيء بعثه الله عليه "[٢] ، وفي رواية : " يبعث كل عبد على ما مات عليه ، المؤمن على إيمانه ، والمنافق على نفاقه "[٣] ، وفي رواية : " المؤمن على إيمانه ، والكافر على كفره "[٤] ، وفي رواية : "يحشر الناس على نياهم"[٥] ، وفي رواية : "إنما يبعث الناس على نياهم"[٦] .

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " يبعث الناس – وربما قال شريك : يحشر الناس – على نياهم "[٧] .

يقول النووي : (قال العلماء : معناه : يبعث على الحالة التي مات عليها ، ومثله الحديث الآخر بعده : " ثم بعثوا على نياهم ")[٨] .

---

(١) مسلم ، كتاب الفتن ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، ص (١٢٤٦) ، رقم : (٧٢٣٢) .

(٢) البغوي في شرح السنة (١٤ / ٤٠١) ، رقم : (٤٢٠٦) ، وأحمد في المسند (٢٢ / ٢٧١) ، رقم : (١٤٣٧٣) ، وقال محققوه : " حديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف " .

(٣) ابن حبان (١٦ / ٣٠٥) ، رقم : (٧٣١٣) ، وقال محققه : " إسناده قوي " ، والطبراني في الأوسط (٩ / ٣٨) .

ورواه عبد الرزاق في المصنف (٣ / ٥٨٦) ، موقوفا على جابر رضي الله عنه .

(٤) البغوي في شرح السنة (١٤ / ٤٠١) ، رقم : (٤٢٠٧) .

(٥) ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب النية ، ص (٦١٦) ، رقم : (٤٢٣٠) .

(٦) ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب النية ، ص (٦١٦) ، رقم : (٤٢٢٩) .

(٧) أحمد في المسند (١٥ / ٤٤) ، رقم : (٩٠٩٠) ، وقال محققوه : " صحيح لغيره ، وهذا إسناد ضعيف " .

(٨) شرح السيوطي على صحيح مسلم (١٧ / ٢٠٦) .

وقال البرديسي : (أي : على الحالة التي مات عليها من خير أو شر ، فالزامر يأتي يوم القيامة بمزماره ، والسكران بقدحه ، والمؤذن يؤذن ، ونحو ذلك)[١] .

والمقصود – والله أعلم – هو بعث الإنسان على ما مات عليه من طاعة ، أو معصية ، دون موته على شؤوون الدنيا ، يقول السيوطي بعد كلام سابق عن هذا الحديث : (وفي هذا الكلام إشارة إلى تخصيص الحديث السابق بأن الحالة التي يأتي عليها في الآخرة مما كان عليه في الدنيا ، المراد بها حالة الطاعة والمعصية ، بخلاف المباحات ، فلا يأتي النجار مثلا بآلته ، والبناء ، ونحوها ؛ إلا أن يستعملوها فيما لا يجوز شرعا ، والله أعلم)[٢] .

إذا علم هذا فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تصف أحوال أناس كثر حال حشرهم يوم القيامة ، وسأحاول أن أجمع هنا ما وقفت عليه منها ، والله الموفق ، وهم أصناف :

الصنف الأول : المؤمنون :

وصف الله ﷻ المؤمنين بأنهم من يوم القيامة مشفقون ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٩] .

وأنهم يخافونه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسًا قَمۡطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٠] .

والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملا فلما كان المؤمنون على جناح الخوف والشفقة من العذاب في الدنيا جازاهم الله ﷻ بالأمن يوم الخوف ، فيؤمن الله ﷻ المؤمنين يوم القيامة حين البعث حين يفزع الناس ، دل لذا جمع من الأدلة : عامة ، وخاصة :

---

(١) تكملة شرح الصدور ص (١٢) ، نقلا عن الحياة الآخرة للعواجي .

(٢) الحاوي للفتاوي (٢ / ٩٤) .

أما الأدلة العامة فمثل الأدلة المخبرة أن المؤمنين يوم القيامة لا يحزنون ، في مثل قوله تعالى : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر : ٦١] .

يقول ابن كثير : (﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي : ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، بل هم آمنون من كل فزع ، مزحزحون عن كل شر ، مؤملون كل خير)[١] .

ومثل الأدلة المخبرة أن المؤمنين لا يرهق وجوههم قتر يوم القيامة ، في مثل قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦] .

يقول القرطبي بعد أن ذكر قول من قال : إن القتر في الآية بمعنى : السواد ، أو الكآبة ، أو إنه دخان ... وإنه يعلو المؤمنين بعد رؤيتهم لله ﷻ ، قال : (قلت : هذا فيه نظر ، فإن الله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ، إلى قوله : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

وقال في غير آية : ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٢] .

وقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وهذا عام ، فلا يتغير بفضل الله في موطن من المواطن ، لا قبل النظر ، ولا بعده ، وَجْهُ المحسن بسواد من كآبة ، ولا حزن ، ولا يعلوه شي من دخان جهنم ، ولا غيره ، ﴿

---

(١) تفسير ابن كثير (١٢ / ١٤٦) .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٧])[١]

.

أما الأدلة الخاصة فجميع الأدلة التي تنص على أمن المؤمنين من الفزع يوم القيامة ، وهي متنوعة ، منها :

أولا : ما جاء أن المؤمنين يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

وفي الآية أقوال[٢] أرجحها – والله أعلم – أن هذا الفزع عام يشمل أول ما يشمل النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ، يقول ابن جرير بعد أن ذكر الأقوال في الآية : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك عند النفخة الآخرة ، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر ، وآمن منه ؛ فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع ، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده)[٣] .

---

(١) تفسير القرطبي (٨ / ٢٤١) .

(٢) يقول ابن الجوزي في زاد المسير ص (٩٤٤) : " قوله تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ ... في الفزع الأكبر أربعة أقوال : أحدها : أنه النفخة الآخرة ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبهذه النفخة يقوم الناس من قبورهم ، ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] ، والثاني : أنه إطباق النار على أهلها ، رواه سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك ، والثالث : أنه ذبح الموت بين الجنة والنار ، وهو مروي عن ابن عباس أيضا ، وبه قال ابن جريج ، والرابع : أنه حين يؤمر بالعبد إلى النار ، قاله الحسن البصري .

وفي مكان تلقي الملائكة لهم قولان : أحدهما : إذا قاموا من قبورهم ، قاله مقاتل ، والثاني : على أبواب الجنة ، قاله ابن السائب "ا.هـ ، وانظر : تفسير ابن جرير (٩ / ٩٣) .

(٣) تفسير ابن جرير (٩ / ٩٣) .

ويقول ابن عطية : (الفزع الأكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة ، فكأن يوم القيامة بجملته هو الفزع الأكبر ، وإن خصص شيء من ذلك فيجب أن يقصد الأعظم هوله ، قالت فرقة في ذلك : هو ذبح الموت ، وقالت فرقة : هو وقوع طبق جهنم على جهنم ، وقالت فرقة : هو الأمر بأهل النار إلى النار ، وقالت فرقة : هو النفخة الآخرة .

قال القاضي أبو محمد : وهذا وما قبله من الأوقات أشبه أن يكون فيها الفزع ، لأنها وقت لرجم الظنون ، وتعرض الحوادث ، فأما وقت ذبح الموت ووقوع طبق جهنم فوقت قد حصل فيه أهل الجنة في الجنة ، فذلك فزع بين أنه لا يصيب أحدا من أهل الجنة ، فضلا عن الأنبياء ، اللهم إلا أن يريد : لا يحزنهم الشيء الذي هو عند أهل النار فزع أكبر ، فأما إن كان فزعا للجميع فلا بد مما قلنا من أنه قبل دخول الجنة)[١] .

ثانيا : ما جاء أن المؤمنين من فزع يوم القيامة آمنون ، قال تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل : ٨٩] :

في قوله : ﴿مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ﴾ قراءتان : الأولى : بتنوين ﴿فَزَعٖ﴾ بقطع الإضافة عن ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ ، والمعنى أن المؤمنين يأمنون من فزع بعض يوم القيامة أو من فزع معين ، لا من الفزع كله ، والثانية : بكسر ﴿فَزَعِ﴾ على الإضافة إلى ﴿يَوۡمِئِذٍ﴾ ، والمعنى : أن المؤمنين يأمنون من كل فزع يوم القيامة .

يقول البغوي : (﴿وَهُم مِّن فَزَعِ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ ، قرأ أهل الكوفة ﴿مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ﴾ بالتنوين ... وقرأ الآخرون بالإضافة ، لأنه أعم ، فإنه يقتضي الأمن من جميع فزع ذلك اليوم ، وبالتنوين كأنه فزع دون فزع)[٢] .

---

(١) تفسير ابن عطية ص (١٢٩٦) .

(٢) تفسير البغوي ص (٩٧١) .

وفي القراءتين تفصيل ليس هذا موضعه[١] ، لكن على كلا القراءتين يشمل الأمن أول ما يشمل الأمن من الفزع حين البعث ، يقول ابن الجوزي : (قال أبو علي الفارسي : إذا نون جاز أن يُعْنَىٰ به فزع واحد ، وجاز أن يعنى به الكثرة ، لأنه مصدر ، والمصادر تدل على الكثرة ، وإن كانت مفردة الألفاظ ، كقوله : ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان : ١٩] ، وكذلك إذا أضيف جاز أن يُعْنَىٰ به فزع واحد ، وجاز أن يعنى به الكثرة ، وعلى هذا القول القراءتان سواء ، فإن أريد به الكثرة فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة ، وإن أريد به الواحد فهو المشار إليه بقوله : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣])[٢] .

ثالثا : ما جاء أن المؤمن يأتي آمنا يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [فصلت : ٤٠] .

وفي المراد بالآية أقوال قيل : هي خاصة ، والمراد بالآمن النبي ﷺ ، والذي يلقى في النار أبو جهل ، وقيل غير ذلك ، وقيل : بل الآية عامة ، فالآمن : المؤمن ، والذي يلقى في النار : الكافر[٣] .

ولا يخفى أن العبرة بعموم اللفظ ، فتشمل كل مؤمن ، يقول ابن الجوزي : (﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ وهذا عام ، غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال)[٤] ، ثم ذكرها .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١٠ / ٢٣ – ٢٤) ، وتفسير القرطبي (١٣ / ١٥٩ – ١٦٠) .

(٢) زاد المسير ص (١٠٥٥) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي (١٥ / ٢٣٥) .

(٤) زاد المسير ص (١٢٥٩) .

كل ما مضى من أدلة هي عامة لجميع المؤمنين ، وجاء دليل خاص في فئة خاصة من المؤمنين ، فجاء أن الشهيد يؤمن من الفزع الأكبر يوم القيامة ، وهذا في حديث المقدام بن معدي يكرب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده في الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويحلى حلية الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفّع في سبعين إنسانا من أقاربه "[١] .

---

(١) رواه ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة في سبيل الله ، ص (٤٠٤) ، رقم : (٢٧٩٩) ، والترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب في ثواب الشهيد ، ص (٤٠٠) ، رقم : (١٦٦٣) ، وقال : " حسن ، صحيح ، غريب " ؛ من حديث المقدام بن معد يكرب ، وقال الألباني في أحكام الجنائز ص (٥٠) : " أخرجه الترمذي ، وصححه ، وابن ماجه ، وأحمد ، وإسناده صحيح ، ثم أخرجه أحمد من حديث عبادة بن الصامت ، ومن حديث قيس الجذامي ، وإسنادهما صحيح أيضا " ، وصححه أيضا في السلسلة الصحيحة رقم : (٣٢١٣) .

والمذكورات في الحديث سبع خصال ، لا ست ، يقول القرطبي في تفسيره (٤ / ١٨٩) : (كذا في الترمذي ، وابن ماجة : " ست" ، وهي في العدد سبع)ا.هـ .

ويقول السندي في حاشيته على ابن ماجه (٣ / ٣٦١) : (قوله : " ست خصال " : المذكورات سبع ، إلا أن يجعل الإجارة والأمن من الفزع واحدة)ا.هـ .

وقد حاول القاري في مرقاة المفاتيح (٧ / ٣٩٧) أن يوفق هذا في قوله : " ينبغي أن يحمل قوله : " ويرى مقعده " على أنه عطف تفسير لقوله : " يغفر له " ، لئلا تزيد الخصال على ست ، لئلا يلزم التكرار في قوله : " ويجار من عذاب القبر " : أي : يحفظ ويؤمن ، إذ الإجارة مندرجة في المغفرة إذا حملت على ظاهرها "ا.هـ .

ورواه أحمد في المسند (٢٨ / ٤١٩) ، رقم : (١٧١٨٢) ، وقال محققوه : " رجاله ثقات ، غير إسماعيل بن عياش ، فقد اضطرب فيه " ، ثم فصلوا الأمر لمن أحب أن يرجع إليه ، من حديث المقدام بن معدي كرب الكندي ، ولفظه : " إن للشهيد عند الله ﷺ ست خصال : أن يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه " .

والمذكورات في الحديث ثمان ، لا ست ، فقوله : " ويزوج من الحور العين " وقوله : " ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين " خصلة واحدة .

ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦ / ١١٤) ، وسعيد بن منصور في سننه (٢ / ٢٥٨) ، من حديث المقدام بن معدي كرب ، وأوله : " إن للشهيد عند الله خصالا " بدون ذكر عدد .

ورواه البيهقي من حديث قيس الجذامي في شعب الإيمان (٦ / ١١٣) ، والطبراني في مسند الشاميين (١ / ١٢٩) ، وأوله : " إن للقتيل عند الله ست خصال " ، وذكرت ست خصال .

ورواه الطبراني في الكبير (١٣ / ٣١) من حديث عبد الله بن عمرو ، ولفظه : " للشهيد ست خصال : يغفر له بأول دفعة من دمه ، ويؤمن من الفزع ، ويرىٰ مقعده من الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر " ، وهذه خمس ، لا ست .

ورواه الطبراني في الكبير (٢٠ / ٢٦٦) ، والآجري في الشريعة ص (٣٣٨) من حديث المقدام بن معدي كرب ، ولفظه : " للشهيد عند الله ﷻ تسع خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرىٰ مقعده من الجنة ، ويحلىٰ حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه " .

ورواه الآجري في الشريعة ص (٣٣٨) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ ، ولفظه : "للشهيد عند الله ﷻ تسع خصال " ، ثم ذكر الحديث مثل حديث المقدام إلىٰ قوله : " ويشفع في سبعين من أقاربه " .

فالحديث فيه اضطراب كبير في المتن ، يقول الألباني في السلسلة الصحيحة (٧ / ٦٤٨) : " مجموع الفقرات في السنن : سبع ، وفي المسند : ثمان ، ومع ذلك فلفظ الحديث عندهم : " ست خصال " ! ، فالمعدود عندهم أكثر من العدد ، علىٰ التفصيل المذكور آنفا .

وهذا من نوادر الاضطراب في المتن – فيما علمت – مع صحة السند ، فاختلف موقف الحفاظ المخرجين لهذا الحديث في هذا اللفظ ، فمنهم من ذكره كما ورد : "ست " ، كالحافظ المنذري في الترغيب ، وعزاه إلىٰ السنن ، والحافظ ابن كثير في التفسير ، وعزاه إلىٰ الثلاثة ، وأقرا الترمذي علىٰ تصحيحه ، وكنت جريت علىٰ سننهم في أحكام الجنائز .

وخالف السيوطي في الجامع الكبير ، وفي الزيادة علىٰ الجامع الصغير ، وتبعه النبهاني في الفتح الكبير ، فجعل مكان لفظ : "ست " لفظ : "سبع " ليوافق العدد المعدود ! .

ولكن بقي الخلاف بينهما بالنسبة لرواية أحمد ؛ فإن المعدود عنده ثمان ، كما في سياق رواية البيهقي ، وابن عساكر ، دون لفظ العدد ، فسلمت من الاضطراب المذكور ، ولا أدري إذا كان ذلك من تصرفهما ، أو تصرف أحد رواة إسنادهما ؟! ، والله ﷻ أعلم "ا.هـ .

يقول الطيبي : (قوله : " ويأمن من الفزع الأكبر " ، إشارة إلي قوله تعالىٰ : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣])[١] ، وكذا قال المناوي في مرقاة المفاتيح[٢] .

يقول الله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥][٣] .

يقول الشنقيطي : (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا بامتثال أمره واجتناب نهيه يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفدا ، والوفد على التحقيق : جمع وافد ، كصاحب وصحب ، وراكب وركب ... والوافد : من يأتي إلى الملك مثلا إلى أمر له شأن ، وجمهور المفسرين على أن معنى قوله : ﴿ وَفْدًا ﴾ ، أي : ركبانا ، وبعض العلماء يقول : هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة ، وبعضهم يقول : يحشرون ركبانا على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة ... وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة ، أما من القبر فالظاهر أنهم يحشرون مشاة ، بدليل حديث ابن عباس الدال على أنهم يحشرون حفاة عراة غرلا ، هذا هو الظاهر ، وجزم به القرطبي ، والله – تعالى – أعلم)[٤] .

ويقول ابن عطية : (" المتقون " هم المؤمنون الذين قد غفر لهم ، وظاهر هذه الوفادة أنها بعد انقضاء الحساب ، وإنما هي النهوض إلى الجنة ، وكذلك سوق المجرمين إنما هو لدخول النار ، ووفدا قال المفسرون معناه : ركبانا ، وهي عادة الوفود ؛ لأنهم سراة

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة (٧ / ٣٥٦) .

(٢) انظر : مرقاة المفاتيح (٧ / ٣٩٧) .

(٣) هذا إن اعتبرت الحشر عموما قلت هذا منه ، وإن اعتبرت الحشر هو القيام من القبور إلى أرض المحشر فليس منه ، ومثله ما يأتي في حشر الكافرين إلى جهنم ، والله أعلم .

(٤) أضواء البيان (٤ / ٢٩٥ – ٢٩٧) .

الناس ، وأحسنهم شكلا ، فشبه أهل الجنة بأولئك ، لا أنهم في معنى الوفادة ، إذ هو مضمن الانصراف ، وإنما المراد تشبيههم بالوفد هيئة وكرامة ، وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة ، خطمها من ياقوت ، وزبرجد ، ونحو هذا ، وروي عن عمر بن قيس الملائي أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هي في غاية الحسن ، وروي أنهم يركب كل أحد منهم ما أحب ، فمنهم من يركب الإبل ، ومن يركب الخيل ، ومنهم من يركب السفن ، فتجيء عائمة بهم ، وقد ورد في الضحايا : إنها مطاياكم إلى الجنة ، وفي أكثر هذا بعد ، لكن ذكرناه بحسب الجمع للأقوال)[١] .

يقول ابن كثير : (يخبر تعالى عن أوليائه المتقين ؛ الذين خافوه في الدار الدنيا ، واتبعوا رسله ، وصدقوهم فيما أخبروهم ، وأطاعوهم فيما أمروهم به ، وانتهوا عما عنه زجروهم : أنه يحشرهم يوم القيامة وفدا إليه ، والوفد : هم القادمون ركبانا ، ومنه : الوفود ، وركوبهم على نجائب من نور ، من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون على خير موفود إليه ، إلى دار كرامته ورضوانه)[٢] .

---

(١) تفسير ابن عطية ص (١٢٤١ – ١٢٤٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٩ / ٢٩٦) .

الصنف الثاني : الكفار :

تنوعت النصوص الشرعية في كيفية حشر الكفار يوم القيامة ، فلم تكد تدع شيئا يسأل عنه ، فقد وصفت كيفية قيامهم من قبورهم ، وكيفية حشر الملائكة لهم ، وألوانهم ، ومشيهم ، وحالهم حال السوق ... وفيما يأتي لعله تفصيل ما أجمل :

أولا : أنهم يخرجون من قبورهم خائفين من البعث ، ومسرعين إلى الحشر :

وقد جاءت في هذا المعنى عدة آيات ، كما في قوله تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٧ - ٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ٥١ - ٥٢] .

يقول الشنقيطي : (قوله : ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ : أي : يسرعون في المشي من القبور إلى المحشر ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج : ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ الآية [ق : ٤٤] .

وكقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ الآية [القمر : ٧ - ٨] .

وقوله : ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ : أي : مسرعين مادي أعناقهم ؛ على أشهر التفسيرين)[١] .

---

(١) أضواء البيان (٦ / ٤٣٠) .

ثانيا : أنهم يحشرون على وجوههم ، وهم صم ، وبكم ، وعمي ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧] .

وقوله : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٤] .

أما مشي الكافر إلى المحشر على وجهه فلأهل العلم فيه أقوال ثلاثة ، ذكرها ابن الجوزي في قوله : (قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [الإسراء : ٩٧] : فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يمشيهم على وجوههم .

وشاهده ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ ، قال : " إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة "[١] .

والثاني : أن المعنى : ونحشرهم مسحوبين على وجوههم ، قاله ابن عباس .

والثالث : نحشرهم مسرعين مبادرين ، فعبر بقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ عن الإسراع ، كما تقول العرب : قد مر القوم على وجوههم : إذا أسرعوا ، قاله ابن الأنباري)[١] .

---

(١) وجاء التأكيد على أن الكافر يحشر على وجهه يوم القيامة في حديث أنس بن مالك ﷺ أن رجلا قال : يا نبي الله ! كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ ، قال : " أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ " ، قال قتادة : بلى ، وعزة ربنا .

رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ، ص (١١٣٠) ، رقم : (٦٥٢٣) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب يحشر الكافر على وجهه ، ص (١٢٢٢) ، رقم : (٧٠٨٧) .

والذي يظهر – والله أعلم – أن القول الأول هو الراجح ، وأن الكافر يحشره الله ﷻ وهو يمشي على وجهه ؛ لحديث أنس ﷺ فإنه صريح في أن المراد منه المشي على وجهه حقيقة .

يقول الحافظ ابن حجر : (قوله : " أليس الذي أمشاه " إلخ ظاهر في أن المراد بالمشي حقيقته ، فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته .

وزعم بعض المفسرين أنه مثل ، وأنه كقوله : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ [الملك : ٢٢] .

قال مجاهد : هذا مثل المؤمن ، والكافر .

قلت : ولا يلزم من تفسير مجاهد لهذه الآية بهذا أن يفسر به الآية الأخرى ، فالجواب الصادر عن النبي ﷺ ظاهر في تقرير المشي على حقيقته ...

والحكمة في حشر الكافر على وجهه : أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة ؛ إظهارا لهوانه ، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات)[٢] .

أما حشر الكافر يوم القيامة أعمى ، وأصما ، وأبكما فالذي يظهر – والله أعلم – أنه على حقيقته ، كمشيه على وجهه يوم القيامة ، وليس المراد عمى البصيرة ، مع أنه لا زم له .

يقول ابن عطية في قوله : ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] : (وقالت فرقة العمى هنا هو عمى البصيرة عن الحجة .

---

(١) زاد المسير ص (٨٣٣) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٩٠) .

قال القاضي أبو محمد : ولو كان هذا لم يخش الكافر لأنه كان أعمى البصيرة ، ويحشر كذلك ، وقالت فرقة : العمى عمى البصر ، وهذا هو الأوجه مع أن عمى البصيرة حاصل في الوجهين)[١] .

ويقول الشنقيطي : (قوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه : ١٢٤]
.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن من أعرض عن ذكره يحشره يوم القيامة في حال كونه أعمى .

قال مجاهد ، وأبو صالح ، والسدي : ﴿أَعْمَىٰ﴾ : أي : لا حجة له ، وقال عكرمة : عمي عليه كل شيء إلا جهنم .

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولا ، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على خلاف ذلك القول ، وقد ذكرنا أمثلة متعددة لذلك .

فإذا علمت ذلك فاعلم أن في هذه الآية الكريمة قرينة دالة على خلاف قول مجاهد ، وأبي صالح ، والسدي ، وعكرمة ، وأن المراد بقوله : ﴿أَعْمَىٰ﴾ : أي : أعمى البصر ، لا يرى شيئا .

والقرينة المذكورة هي قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه : ١٢٥] .

فصرح بأن عماه هو العمى المقابل للبصر ، وهو : بصر العين ، لأن الكافر كان في الدنيا أعمى القلب ، كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله .

وقد زاد جل وعلا في سورة بني إسرائيل أنه مع ذلك العمى يحشر أصم أبكم أيضا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن

---

(١) تفسير ابن عطية ص (١٢٧٠) .

دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٩٧])[١] .

إشكال وتوجيهه :

يقول الشنقيطي : (قوله تعالى : ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤]

...

تنبيه :

في آية " طه " هذه وآية " الإسراء " المذكورتين إشكال معروف ، وهو أن يقال : إنهما قد دلتا على أن الكافر يحشر يوم القيامة أعمى ، وزادت آية " الإسراء " أنه يحشر أبكم أصم أيضا ، مع أنه دلت آيات من كتاب الله على أن الكفار يوم القيامة يبصرون ، ويسمعون ، ويتكلمون ، كقوله تعالى : ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ ﴾ الآية [مريم : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ الآية [الكهف : ٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ﴾ الآية [السجدة : ١٢] ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقد ذكرنا في كتابنا " دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب " الجواب عن هذا الإشكال من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : واستظهره أبو حيان : أن المراد بما ذكر من العمى ، والصمم ، والبكم حقيقته ، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ، ثم يرد الله – تعالى – إليهم أبصارهم ، ونطقهم ، وسمعهم ، فيرون النار ، ويسمعون زفيرها ، وينطقون بما حكى الله – تعالى – عنهم في غير موضع .

---

(١) أضواء البيان (٤ / ٤١٣ – ٤١٤) .

الوجه الثاني : أنهم لا يرون شيئا يسرهم ، ولا يسمعون كذلك ، ولا ينطقون بحجة ، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ، ولا ينطقون بالحق ، ولا يسمعونه .

وأخرج ذلك ابن جرير ، وابن أبي حاتم ؛ عن ابن عباس ، وروي أيضا عن الحسن ، كما ذكره الألوسي ، وغيره .

وعلى هذا القول فقد نزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم ؛ لعدم الانتفاع به ، كما أوضحنا في غير هذا الموضع .

ومن المعلوم أن العرب تطلق لا شيء على ما لا نفع فيه ، ألا ترى أن الله يقول في المنافقين : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ الآية [البقرة : ١٨] ، مع أنه يقول فيهم : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

ويقول فيهم : ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] ، أي : لفصاحتهم ، وحلاوة ألسنتهم .

ويقول فيهم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ [البقرة : ٢٠] .

وما ذلك إلا لأن الكلام ، ونحوه ؛ الذي لا فائدة فيه كلا شيء ؛ فيصدق على صاحبه أنه أعمى ، وأصم ، وأبكم .

ومن ذلك قول قعنب بن أم صاحب :

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

... ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب من إطلاق الصمم على السماع الذي لا فائدة فيه ، وكذلك الكلام الذي لا فائدة فيه ، والرؤية التي لا فائدة فيها .

الوجه الثالث : أن الله إذا قال لهم : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] وقع بهم ذلك العمى ، والصمم ، والبكم ؛ من شدة الكرب ، واليأس من الفرج ، قال تعالى : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل : ٨٥] .

وعلى هذا القول تكون الأحوال الخمسة مقدرة ، أعني قوله في طه : ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه : ١٢٤] ، وقوله فيها : ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه : ١٢٥] ، وقوله في الإسراء : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٧] .

وأظهرها عندي الأول ، والله تعالى أعلم)[١] .

والأول أظهر ، وأرجح ، كما قال الشنقيطي ، وهو حمل لكل الآيات على حقيقتها ، فإن الآيات التي فيها أن الكافر يحشر وهو يمشي على وجهه ، وأنه يحشر أعمى ؛ صريحة في هذا .

وفي المقابل الآيات التي فيها أنه يرى النار ، ويسمع الكلام ، ويتكلم ؛ صريحة أيضا ، فلم يبق إلا القول أن ليوم القيامة أهوالا وأحوالا ، فيحتمل أن يحشر الكافر في أول الأمر على وجهه ، وهو أعمى ، أصم ، أبكم ، ثم يرى ، ويسمع ، ويتكلم ، ويحتمل أن يكون هذا في أحوال دون أخر ، والله أعلم .

يقول ابن القيم : (قوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه : ١٢٤ – ١٢٥] .

اختلف فيه : هل هو من عمى البصيرة ، أو من عمى البصر ؟ ، والذين قالوا : هو من عمى البصيرة إنما حملهم على ذلك قوله : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم : ٣٨] .

وقوله : ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق : ٢٢] .

وقوله : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان : ٢٢] .

---

(١) أضواء البيان (٤ / ٤١٤ – ٤١٥) .

وقوله : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٦ - ٧] .

ونظائر هذا مما يثبت لهم الرؤية في الآخرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى : ٤٥] .

وقوله : ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الطور : ١٣ - ١٥] .

وقوله : ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : ٥٣] .

والذين رجحوا أنه من عمى البصر قالوا : السياق لا يدل إلا عليه ؛ لقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾ [طه : ١٢٥] ، وهو لم يكن بصيرا في كفره قط ، بل قد تبين له حينئذ أنه كان في الدنيا في عمى عن الحق ، فكيف يقول : ﴿ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾ ؟! ، وكيف يجاب بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٦] ، بل هذا الجواب فيه تنبيه على أنه من عمى البصر ، وأنه جوزي من جنس عمله ، فإنه لما أعرض عن الذكر الذي بعث الله به رسوله وعميت عنه بصيرته ؛ أعمى الله بصره يوم القيامة ، وتركه في العذاب ، كما ترك الذكر في الدنيا ، فجازاه على عمى بصيرته عمى بصره في الآخرة ، وعلى تركه ذكره تركه في العذاب .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا ﴾ [الإسراء : ٩٧] .

وقد قيل في هذه الآية أيضا : إنهم عمي وبكم وصم عن الهدى ، كما قيل في قوله : ﴿ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] ، قالوا : لأنهم يتكلمون يومئذ ، ويسمعون ، ويبصرون .

ومن نصر أنه العمى والبكم والصمم المضاد للبصر والسمع والنطق قال بعضهم : هو عمى وصمم وبكم مقيد لا مطلق ، فهم عمى عن رؤية ما يسرهم ، وسماعه ، ولهذا قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا يرون شيئا يسرهم[١] .

وقال آخرون : هذا الحشر حين تتوفاهم الملائكة يخرجون من الدنيا كذلك ، فإذا قاموا من قبورهم إلى الموقف قاموا كذلك ، ثم إنهم يسمعون ويبصرون فيما بعد ، وهذا مروي عن الحسن[٢] .

وقال آخرون : هذا إنما يكون إذا دخلوا النار واستقروا فيها سلبوا الأسماع ، والأبصار ، والنطق ، حين يقول لهم الرب – تبارك وتعالى – : ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، فحينئذ ينقطع الرجاء ، وتبكم عقولهم ، فيصيرون بأجمعهم عميا بكما صما ، لا يبصرون ، ولا يسمعون ، ولا ينطقون ، ولا يسمع منهم بعدها إلا الزفير ، والشهيق ، وهذا منقول عن مقاتل[٣] .

والذين قالوا : المراد به العمى عن الحجة إنما مرادهم : أنهم لا حجة لهم ، ولم يريدوا أن لهم لهم حجة هم عمي عنها ، بل هم عمي عن الهدى ، كما كانوا في الدنيا ، فإن العبد يموت على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه .

وبهذا يظهر أن الصواب هو القول الآخر ، وأنه عمى البصر ، فإن الكافر يعلم الحق يوم القيامة عيانا ، ويقر بما كان يجحده في الدنيا ، فليس هو أعمى عن الحق يومئذ .

وفصل الخطاب : أن الحشر هو : الضم ، والجمع ، ويراد به تارة : الحشر إلى موقف القيامة ، لقول النبي ﷺ : " إنكم محشورون إلى الله حفاة ، عراة ، غرلا "[٤] .

وكقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ٥] .

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨ / ١٥٢) .

(٢) ذكر نحوه عن الحسن السيوطي في الدر (١٠ / ٦٢٧) ، ونسبه لعبد بن حميد .

(٣) رواه ابن جرير (٩ / ٢٤٩) ؛ عن قتادة ، وعن عمرو بن مرة ، ولم أجده عن مقاتل .

(٤) تقدم عزوه قريبا .

وكقوله تعالى : ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٧] .
ويراد به : الضم والجمع إلى دار المستقر ، فحشر المتقين : جمعهم وضمهم إلى الجنة ، وحشر الكافرين :

جمعهم وضمهم إلى النار ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم : ٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات : ٢٢ – ٢٣] .
فهذا الحشر هو بعد حشرهم إلى الموقف ، وهو حشرهم وضمهم إلى النار ، لأنه قد أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات : ٢٠ – ٢١] ، ثم قال تعالى : ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات : ٢٢] ، وهذا الحشر الثاني .
وعلى هذا فهم ما بين الحشر الأول من القبور إلى الموقف ، والحشر الثاني من الموقف إلى النار ، فعند الحشر الأول : يسمعون ويبصرون ، ويجادلون ، ويتكلمون ، وعند الحشر الثاني : يحشرون على وجوههم عميا وبكما وصما ، فلكل موقف حال يليق به ، ويقتضيه عدل الرب – تعالى – ، وحكمته ، فالقرآن يصدق بعضه بعضا : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢])[١] .
والمقصد من نقل كلام ابن القيم أمران : الأول : بيان الراجح في آية طه ، وأن المراد به عمى البصر ، لا عمى البصيرة ، والثاني : أن الكفار يوم القيامة يبصرون في مواقف ، ويعمون في آخر .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ٢١٠ – ٢١٣) .

أما قول ابن القيم إن عمى الكفار يكون في الحشر إلى النار فهذا مما يخالف ، فيه يقول ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] : (﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ يقول : ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا ﴾ وهو جمع : أبكم ، ويعني بالبكم : الخرس)[١] ، والله أعلم .

ثالثا : أنهم يحشرون زرقا ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه : ١٠٢] .

وفي معنى قوله : ﴿ زُرْقًا ﴾ أقوال[٢] :

فقيل : أراد زرقة أبدانهم عامة ، فكل بدنهم يكون أزرقا ، وفي هذا يقول ابن عطية : (غاية في التشويه لأنهم يجيئون كلون الرماد)[٣] .

وقيل : أراد زرقة العيون خاصة .

وقيل : أراد عمى أبصارهم ، أي : يحشرون عميا ، قاله ابن عباس ، وابن قتيبة ، والكلبي ، والفراء .

وقيل : أراد أن أبصارهم شاخصة يوم القيامة من شدة الخوف ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

وقيل : معنى ﴿ زُرْقًا ﴾ : عطاشا ، فمن شدة العطش تزرق عيونهم ، ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦] ، قاله الأزهري ، والزهري ، والزجاج .

---

(١) تفسير ابن جرير (٨ / ١٥٢) .

(٢) انظر : تفسير ابن عطية ص (١٢٦٦) ، وتفسير القرطبي (٦ / ١٦٩) ، وزاد المسير ص (٩١٨) ، واللباب في علوم الكتاب (١٣ / ٣٨٣ – ٣٨٤) .

(٣) تفسير ابن عطية ص (١٢٦٦) .

ويلاحظ عليه أن هذه الآية في السوق إلى جهنم ، لا الحشر لأرض المحشر ، إلا إن أراد العموم .

وقيل : طامعين فيما لا ينالونه ، أي : طمع يعقبه خيبة أمل ، حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي .

والذي يظهر – والله أعلم – أن المراد بقوله : ﴿ زُرْقًا ﴾ : زرقة البدن كله لأمور :

الأول : أن هذا ظاهر اللفظ ، فظاهره أنهم زرق ، فلم يخرج عن ظاهر اللفظ بدون دليل ، ويستأنس لهذا بما ورد عن سعيد بن جبير أنه قال : قيل لابن عباس في قوله : ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] ، فقال : إن ليوم القيامة حالات ، فحالة يكونون فيها زرقا ، وحالة عميا[١] ، فأجاب بما يقتضيه ظاهر اللفظ .

الثاني : أن هذا عموم اللفظ ، فعمومه أن كل بدن الكافر يكون أزرقا ، فلم يخص بعينيه ؟ ، وبدون دليل ظاهر ، والله أعلم .

ويقول ابن عطية في قوله : ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] ، وبعد أن قرر أن الأوجه أن المراد به عمى البصر ، قال : (وأما قوله : ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه : ١٠٢] فمن رآه في العينين فلا بد أن يتأول فيها مع هذه : إما أنها في طائفتين ، أو في موطنين)[٢] .

الثالث : أن النصوص في اليوم الآخر بمجملها تدل على أن للمؤمنين ، والكافرين عدة أحوال يوم القيامة ، فأخذ كل لفظ على ظاهره أولى من حمله على لفظ آخر ، كحمل الزرقة على العطش ، والعمى ، والطمع ... والله أعلم .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي (٦ / ١٦٩) .

(٢) تفسير ابن عطية ص (١٢٧٠ – ١٢٧١) .

على أنه يمكن الجمع بين بعض هذه الأقوال بأن الكافر يحشر أزرق البدن من شدة الخوف ، والهلع ، والعطش ... يقول السعدي : (المجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف ، والقلق ، والعطش)[١] .

رابعا : أن الكافر يحشر يوم القيامة ووجه أسود ، وعليه قترة ، وتعلوه الذلة والصغار :

وقد بين الشنقيطي هذا بيانا شافيا كافيا في قوله : (قوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن : ٤١] .

قوله : ﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ : أي : بعلامتهم المميزة لهم .

وقد دل القرآن على أنها هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم[٢] ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس : ٤٠ - ٤٢] .

لأن معنى قوله : ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ : أي : يعلوها ويغشاها سواد ، كالدخان الأسود .

وقال تعالى في زرقة عيونهم : ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه : ١٠٢] .

---

(١) تفسير السعدي ص (٥١٣) .

(٢) تقدم الكلام على هذا .

ولا شيء أقبح وأشوه من سواد الوجوه وزرقة العيون ... ولا سيما إذا اجتمع مع سواد الوجه اغبراره ، كما في قوله : ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ فإن ذلك يزيده قبحا على قبح)[1] .

والذي يظهر أن الوجه في هذه العلامات دال على بقية الجسد ، فالسواد ، والقترة ... كلها أمور تدل على خوف ، وذل ، وصغار فانعكس على ظاهره .

خامسا : أن الكافرين يحشرون مع شياطينهم :

قوله تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٢ – ٢٣] .

قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٦٨] .

يقول الشنقيطي : (أقسم جل وعلا بنفسه الكريمة أنه يحشرهم ، أي : الكافرين المنكرين للبعث ، وغيرهم من الناس ، ويحشر معهم الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ، وأنه يحضرهم حول جهنم جثيا .

وهذان الأمران اللذان ذكرهما في الآية الكريمة أشار إليهما في غير هذا الموضع : أما حشره لهم ولشياطينهم فقد أشار إليه في قوله : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٢ – ٢٣] ، على أحد التفسيرات .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٨] .

---

(١) أضواء البيان (٧ / ٤٩٦) .

وأما إحضارهم حول جهنم جثيا فقد أشار له في قوله : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨])[١] .

---

(١) أضواء البيان (٤ / ٢٦١ – ٢٦٢) .

الصنف الثالث : المتكبرون :

يحشرن المتكبرون يوم القيامة مثل الذر في صور الرجال ، فيطؤهم الناس بأقدامهم ، لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي ﷺ قال : " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، فيساقون إلى سجن في جهنم ، يسمى : بولس ، تعلوهم نار الأنيار[١] ، يسقون من عصارة أهل النار : طينة الخبال " ، وفي رواية أحمد : " يعلوهم كل شيء من الصغار "[٢] .

---

(١) يقول الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨ / ٨٣٥) : (" نار الأنيار " : أي : نار النيران ، قال شارح : أنيار : جمع نار ، كأنياب جمع : ناب ، وفيه : أن الناب يائي ، والنار واوي ، ولذا لم يذكر أنيار في القاموس لكونه شاذا ، والقياس الأنوار ، إلا أنه قيل : الأنيار لئلا يشتبه بجمع النور .

قال القاضي : وإضافة النار إليها للمبالغة ، كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها .

أقول : أو لأنها أصل نيران العالم لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [الأعلى : ١٢] ، ولقوله ﷺ : " ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم " ، على ما ذكره البيضاوي .

وفي النهاية : قوله : " نار الأنيار " لم أجده مشروحا ، ولكن هكذا يروى ، فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه : نار النيران ، فجمع النار على : أنيار ، وأصلها : أنوار ، لأنها من الواو ، وكما جاء في ريح ، وعيد : أرياح ، وأعياد ، وهما من الواو ، ذكره الطيبي ، ولم يبين وجههما ، وتوجيهه ما قدمناه من مخافة الالتباس ، فإن الأعواد بمعنى : الأخشاب ، والأرواح جمع : الروح)ا.هـ ، وانظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩ / ٢٩٤) ، وتحفة الأحوذي (٧ / ٢٣٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١١ / ٢٦٠) ، رقم : (٦٦٧٧) ، وقال محققوه : " إسناده حسن " ، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦ / ٢٣١) : " إسناده صحيح " ، وابن المبارك في الزهد ص (٥٢) ، والبخاري في الأدب المفرد ص (٢٨٧) ، والترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شدة الوعيد للمتكبرين ، ص (٥٦٧) ، رقم : (٢٤٩٢) ، وقال : " حسن ، صحيح " .

قوله : " الذر " : قيل : إنه النمل الصغير ، وقيل : الذي يرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة ، والأول هو الصحيح قطعا ، لتقييده بعد في الحديث بقوله : " في صور الرجال " ، وهذا ما لا يتأتى في ما يرى في شعاع الشمس النافذ للبيت[١] .

وقوله : " أمثال الذر " : أي : مثل صغار النمل في الحجم ، فبدن المتكبر يكون يوم القيامة مثل حجم النمل الصغير .

والذي يظهر – والله أعلم – أن المتكبر يكون رجلا على صورة الرجال في حجم النمل الصغير ، وليس المقصود مجرد انتصاب قامته كالرجال[٢] .

والذي يظهر : أن هذا على حقيقته ، وأن المتكبر يكون مثل صغير النملة في الحجم حقيقة ، وليس المراد أنه مثل الذر في الحقارة ، وإن كان داخل في الأول ، وهذا لظاهر قوله : " أمثال الذر " ، ولقوله بعد : " يغشاهم الذل في مكان " فكأنه تأكيد لحقيقة صغر حجم المتكبر ، والله أعلم .

ويستأنس في ترجيح هذا – وإن كان ما مضى يكفي – بأحاديث كلها ضعيفة :

الأول : حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " يجاء بالجبارين والمتكبرين رجالا في صورة الذر ، يطؤهم الناس من هوانهم على الله ﷻ ، حتى يقضى بين الناس " ، قال : " ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار " ، قال : قيل : يا رسول الله ! وما نار الأنيار ؟ ، قال : " عصارة أهل النار "[٣] .

---

(١) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩ / ٢٩٤) ، ومرقاة المفاتيح (٨ / ٨٣٣) ، وتحفة الأحوذي (٧ / ٢٣٨) .

(٢) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩ / ٢٩٤) ، ومرقاة المفاتيح (٨ / ٨٣٣) ، وتحفة الأحوذي (٧ / ٢٣٨) .

(٣) أحمد في الزهد ص (٢٢) ، وفيه عطاء بن مسلم الخفاف ، قال البغدادي في تاريخ بغداد (١٤ / ٢٣٧) : (أخبرنا البرقاني ، قال : أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي ، قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني ، قال : حدثنا أبو بكر المروذي ، قال : قلت يعني لأحمد بن حنبل : تعرف عن عطاء بن مسلم الخفاف ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : " يحشر المتكبرون في

الثاني : حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : " يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر ، يطؤهم الناس بأقدامهم ، فيقال : ما بال هؤلاء في صور الذر ؟! ، فيقال : هؤلاء المتكبرون في الدنيا "(١) .

الثالث : حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " إن الله يبعث المتكبرين يوم القيامة في صور الذر لهوانهم على الله ، ليطأوهم الجن والإنس والدواب بأرجلها ، حتى يقضي الله بين عباده ، فيدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ويعذبون يوم القيامة في وادي جهنم "(٢) .

ويزاد عليها :

صور الذر يطؤهم الناس "، فأنكره ، وقال : ما أعرفه ، وعطاء بن مسلم مضطرب الحديث)ا.هـ ، وانظر : الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ، رواية المروذي ، وغيره ص (١٥٣) .

وله شاهد ذكره ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ص (٢٧٠) قال : (حدثني محمد بن عثمان العقيلي ، حدثنا محمد بن راشد الضرير المنقري ، عن محمد بن عمر ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة)ا.هـ .

(١) رواه البزار ، كما في كشف الأستار (٤ / ١٥٥) ، وقال : " لا نعلمه يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد ، والقاسم فليس بالقوي ، وقد حدث عنه أهل العلم " ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٣٤) : " رواه البزار ، وفيه القاسم بن عبد الله العمري ، وهو متروك " ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم : (٥٠١٠) : " موضوع " .

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣ / ٥٦٧) ، ثم قال : " قال ابن عدي : مدار الحديث على الخصيب ، وراويه عنه الحسن ، قال المصنف : قلت : أما الخصيب فقد كذبه شعبة ، ويحيى القطان ، وابن معين ، وقال أحمد : لا يكتب حديثه ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن حبان : يروي عن الثقاة الأحاديث الموضوعات .

وأما الحسن فقال أحمد : لا يكتب حديثه ، وقال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك ، وقال ابن حبان : حدث بالبواطيل عن الأثبات "ا.هـ .

وقال الكناني في تنزيه الشريعة (٢ / ٣٨١) معقبا على ابن الجوزي : " تعقب بأن له شواهد ، من حديث جابر أخرجه البزار، ومن حديث أبي هريرة أخرجه البزار مختصرا وابن صصري في أماليه مطولا ومن حديث عبد الله بن عمرو بمعناه أخرجه أحمد والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم في تفسيره " .

الرابع : قول كعب ﷺ قال : يحشر المتكبرون يوم القيامة رجالا في صور الذر ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يسلكون في نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عصارة أهل النار[١] .

وعليه : فتشبيه المتكبر بالنمل الصغير يكون في أمرين : الأول : صغر الحجم ، والثاني : الحقارة ، والذلة ، والهوان .

والمراد به : أن المتكبر في الدنيا يعاقب يوم القيامة من جنس عمله ، فهو يرى الناس في الدنيا صغارا ، فيعاقب من جنس عمله فيحشر صغيرا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث : (إنهم لما أذلوا عباد الله أذلهم الله لعباده ، كما أن من تواضع لله رفعه الله ؛ فجعل العباد متواضعين له)[٢] .

ولا منافاة بين هذه الأحاديث في صغر حجم المتكبر والأحاديث التي فيها أن الناس يرجعون كما كانوا في كل شيء ، حتى ترجع لهم الغرلة ، فإن هذه عامة ، وتلك خاصة ، والله على كل شيء قدير .

يقول الطيبي : (قوله : " أمثال الذر " تشبيه لهم بالذر ، ولا بد من بيان وجه الشبه ، لأنه يحتمل أن يكون وجه التشبيه : الصغر في الجثة ، وأن يكون : الحقارة ، والصغار ، فقوله : " في صور الرجال " بيان للوجه ، ودفع وهم من يتوهم خلافه .

وأما قوله : إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء ؛ فليس فيه أن لا تعاد تلك الأجزاء الأصلية في مثل الذر ، لأنه تعالى قادر عليه ... وعلى هذا الحقارة ملزوم هذا التركيب ، فلا ينافي إرادة الجثة ؛ مع الحقارة)[٣] .

ولا منافاة بين هذه الأحاديث والأحاديث التي فيها أن الكافر يعظم خلقه في النار ، فإن هذه الأحاديث في أرض المحشر ، وعرصات يوم القيامة ، وتلك في النار .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠ / ٤٨٢) ، موقوفا على كعب ﷺ .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٢٠) .

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٩ / ٢٩٤) ، وانظر : مرقاة المفاتيح لملا علي قاري (٨ / ٨٣٣ - ٨٣٥) .

يقول القرطبي : (قال العلماء : وكل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر ، فإنه فسق يلزمه الإعلان ، وهو أصل العصيان كله ، وفي الحديث الصحيح : " إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم " ، أو كما قال ﷺ ، تصغر لهم أجسامهم في المحشر حتى يضرهم صغرها ، وتعظم لهم في النار حتى يضرهم عظمها)[١] .

ويقول ابن كثير : (أما الحديث : " يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجنا في جهنم ، يقال له : بولس ، فتعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال ؛ عصارة أهل النار " ... فالمراد أنهم يحشرون يوم القيامة في العرصات كذلك ، فإذا سيقوا إلى النار ودخلوها عظم خلقهم ، كما دلت على ذلك الأحاديث التي أوردناها ؛ ليكون ذلك أنكى وأشد في عذابهم ، وأعظم في خزيهم ، كما قال : ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء : ٥٦] ، والله – سبحانه – أعلم)[٢] .

---

(١) تفسير القرطبي (١٠ / ٦٥) .

(٢) البداية والنهاية (٢٠ / ١٤٣) .

الصنف الرابع : السائلون :

من سأل الناس في الدنيا وعنده ما يغنيه جاء وجهه يوم القيامة وليس فيه مزعة لحم ، أو جاء وفي وجهه خدوش يوم القيامة ، يدل له حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم " ، وفي رواية مسلم : " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم[١] "[٢] .

وفي معنى قوله ﷺ : " وليس في وجهه مزعة لحم " قولان[٣] :

الأول : أنه يأتي يوم القيامة ساقطا ذليلا ، لا جاه له ولا قدر ، من قولهم : لفلان وجه في الناس ، وليس له وجه ، أي : له قدر ومنزلة ، أو ليس له قدر ولا منزلة .

وهذا القول (صرف للحديث عن ظاهره ، وقد يؤيده ما أخرجه الطبراني والبزار من حديث مسعود بن عمرو مرفوعا : " لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه ، فلا يكون له عند الله وجه "[٤])[٥] ، لكنه حديث ضعيف ، والله أعلم .

الثاني : أن يكون وجه الذي يلقى به عظما لا لحم عليه ، وهذا قول بظاهر الحديث .

---

(١) قوله : " مزعة لحم " : أي : قطعة لحم ، يقال : مزعت اللحم : إذا قطعته ، ينظر : شرح السنة للبغوي (٦ / ١١٩ – ١٢٠) ، وشرح النووي على مسلم (٧ / ١٣١) .

(٢) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثرا ، ص (٢٣٩) ، رقم : (١٤٧٤) ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، ص (٤١٨) ، رقم : (٢٣٩٦) .

(٣) انظر : غريب الحديث للخطابي (١ / ١٤١) ، وشرح السنة للبغوي (٦ / ١١٩ – ١٢٠) ، والمفهم للقرطبي (٣ / ٨٥) ، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٣ / ٥٧٤ – ٥٧٥) .

(٤) حلية الأولياء (٢ / ٢١) ، والبزار كما في كشف الأستار (١ / ٤٣٤) ، والطبراني في الكبير (٢٠ / ٣٣٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣ / ٩٦) : " رواه البزار ، والطبراني في الكبير ، وفيه محمد بن أبي ليلى ، وفيه كلام " ، وضعف سنده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧ / ١٤١٠) ، تحت رقم : (٣٤٨٣) .

(٥) فتح الباري (٣ / ٣٩٧) .

وهذا إما أن تكون العقوبة نالت موضع الجناية ، وإما أن تكون علامة وشعارا يعرف به ، لا من عقوبة مسته في وجهه .

(وخص الوجه بهذا النوع لأن الجناية به وقعت ، إذ قد بذل من وجهه ما أُمِرَ بصونه عنه ، وتصرف به في غير ما سُوغ له)[١] .

ولا مانع من اجتماع الأمرين فيه ، فيأتي وليس في وجهه قطع لحم حقيقة ، وهو عقوبة له على بذل وجهه في ما لا يحل له ، وهو شعار له يوم القيامة ، ومن كانت هذه حاله فهو دليل على سقوط منزلته ، وقدره .

يقول ابن رجب : (ولهذا المعنى كان عقوبة من أكثر المسألة بغير حاجة أن يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم ، كما ثبت ذلك في الصحيحين ، لأنه أذهب عز وجهه وصيانته وماءه في الدنيا ، فأذهب الله من وجهه في الآخرة جماله وبهاءه الحسي ، فيصير عظما بغير لحم ، ويذهب جماله وبهاؤه المعنوي ، فلا يبقى له عند الله وجاهة)[٢] .

والمراد بالسؤال في الحديث : السؤال المحرم ، كمن سأل تكثرا وهو غني لا تحل له الصدقة ، وأما من سأل وهو مضطر فذلك يباح له فلا يعاقب عليه .

يقول القرطبي : (وهذا محمول على كل من سأل سؤالا لا يجوز له)[٣] .

ويقول النووي : (وهذا فيمن سأل لغير ضرورة ، سؤالا منهيا عنه ، وأكثر منه ، كما في الرواية الأخرى : " من سأل تكثيرا " ، والله أعلم)[٤] .

---

(١) المفهم (٣ / ٨٥) .

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣ / ١٢٤) .

(٣) المفهم (٣ / ٨٥) ، وانظر : إكمال المعلم للقاضي عياض (٣ / ٥٧٤ - ٥٧٥) ، وفتح الباري لابن حجر (٣ / ٣٩٧) .

(٤) شرح النووي على مسلم (٧ / ١٣١) .

ويدل له : حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة خموش[١] ، أو خدوش ، أو كدوح ، في وجهه " ، قيل يا رسول الله : وما الغنىٰ ؟ ، قال : " خمسون درهما ، أو قيمتها من الذهب "[٢] .

وحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : " من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا ، فليستقل ، أو ليستكثر "[٣] .

يقول ابن القيم : (المسألة في الأصل حرام ، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة ، لأنها ظلم في حق الربوبية ، وظلم في حق المسئول ، وظلم في حق السائل)[٤] ، ثم شرع في تفصيلها ، وذكر بعض الأدلة .

---

(١) جاء في رواية ابن ماجه : " خدوشا ، أو خموشا ، أو كدوحا " ، يقول السندي في حاشيته علىٰ سنن ابن ماجه (٢ / ٤٠٢) : " قوله : " خدوشا " بضم أوله ، منصوب علىٰ الحال : وهو مصدر : خدش الجلد : قشره بنحو عود ، والخموش ، والكدوح مثله ، وزنا ومعنىٰ ، فأو للشك من بعض الرواة "ا.هـ .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الزكاة ، باب من يعطىٰ من الصدقة وحد الغني ، ص (٢٤١) ، رقم : (١٦٢٦) ، واللفظ له ، والنسائي ، كتاب الزكاة ، باب فضل من لا يسأل الناس شيئا ، ص (٣٥٩) ، رقم : (٢٥٩٣) ، وابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب من سأل عن ظهر غنىٰ ، ص (٢٦٣) ، رقم : (١٨٤٠) ، وأحمد في المسند (٦ / ١٩٤) ، رقم : (٣٦٧٥) ، وقال محققوه : " حسن " ، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣ / ٥٤٠) ، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم : (٤٩٩) .

فائدة : حديث حبشي بن جنادة السلولي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع ، وهو واقف بعرفة ، أتاه أعرابي فأخذ بطرف ردائه ، فسأله إياه ، فأعطاه وذهب ، فعند ذلك حرمت المسألة ، فقال رسول الله ﷺ : " إن المسألة لا تحل لغني ، ولا لذي مرة سوي ، إلا لذي فقر مدقع ، أو غرم مفظع ، ومن سأل الناس ليثرىٰ به ماله كان خموشا في وجهه يوم القيامة ، ورضفا يأكله من جهنم ، فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر " .

الحديث رواه الترمذي ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء من لا تحل له الصدقة ، ص (١٦٧) ، رقم : (٦٥٣) ، وقال : " غريب ؛ من هذا الوجه " ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ص (٦٩) .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، ص (٤١٨) ، رقم : (٢٣٩٩) .

(٤) مدارج السالكين (٢ / ٢٢٢) .

وفي حديث ثوبان : " من سأل مسألة وهو عنها غني كانت شيئا في وجهه يوم القيامة "[١] .

---

(١) المسند رقم : (٢٢٤٢٠) .

الصنف الخامس : أصحاب الغلول :

الغلول في اللغة : من : غل ، يغل – بضم الغين ، وكسرها – ، غلولا ، وغلة ، وهو غال ، ومغلول ، وغليل .

ويذهب ابن فارس إلى أن أصل الكلمة يدور على تخلل شيء ، وثبات شيء ، كالشيء يغرز ، من ذلك قول العرب : غللت الشيء في الشيء ، إذا : أثبته فيه ، كأنه غرزته ، ومنه : الغلل ، وهو : الماء الجاري بين الشجر ، ومنه : فلان به غلة ، وهو غليل ، وغلان : أي : عطش ، لأن العطش كالشيء ينغل في الجوف .

ومنه : الغلول في الغنيمة ، وهو : أن يخفى الشيء فلا يرده ليقسم ، كأن صاحبه قد غله بين ثيابه ، ومنه : الغل ، وهو : الضغن والحقد ينغل في الصدر ، ويتخلله[١] .

قال ابن قتيبة : (الغلول في المغنم أصله : أن الرجل كان إذا اختار من المغنم شيئا غله ، أي : أدخله في أضعاف متاعه ، وستره ، فسمي الخائن : غالا ، يقال : غللت الشيء فانغل ، أي : أدخلته)[٢] .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ : فقد فسر بأنه ما كان لنبي أن يَخُون ، وما كان لنبي أن يُخَوَّن ، على حسب الاختلاف في القراءة على البناء للمعلوم أو المجهول[٣] .

وبعضهم يجعل الخيانة على نوعين : خيانة عامة ، وخيانة الغلول[١] ، فكأنه أفرد الغلول عن الخيانة للنصوص الواردة فيه ، ولا أرى له وجه ، بل هو داخل تحت الخيانة ، والله أعلم .

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٢٢٦ – ٢٢٧) ، ويذهب ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ص (٧٦٨) ، وانظر : تفسير القرطبي (٤ / ١٧٥) .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ص (٧٦٨) ، وانظر : تفسير القرطبي (٤ / ١٧٥) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي (٤ / ١٧٥) .

إذا علم هذا : فقد أتت النصوص الشرعية عامة في أن كل من غَلَّ شيئا أتى به يوم القيامة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

يقول القرطبي : (قوله تعالى : ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ : أي : يأتي به حاملا له على ظهره ورقبته ، معذبا بحمله وثقله ، ومرعوبا بصوته ، وموبخا بإظهار خيانته على رءوس الأشهاد ... وهذه الفضيحة التي يوقعها الله – تعالى – بالغال نظير الفضيحة التي توقع بالغادر ، في أن ينصب له لواء عند إسته بقدر غدرته .

وجعل الله – تعالى – هذه المعاقبات حسبما يعهده البشر ، ويفهمونه ... وكانت العرب ترفع للغادر لواء ، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته)[٢] .

وكما في حديث أبي هريرة ﷺ وفيه قول النبي ﷺ : " ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار ، فيقول : يا محمد ! فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد بلغت ، ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء ، فيقول : يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئا ، قد بلغت "[٣] .

وحديث أبي هريرة ﷺ قال : قام فينا النبي ﷺ ، فذكر الغلول ، فعظمه ، وعظم أمره ، قال : " لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، على رقبته فرس له حمحمة ، يقول : يا رسول الله ! أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، وعلى رقبته

---

(١) يقول ابن العربي في أحكام القرآن (١ / ٣٢٠) : " في حقيقة الغلول : اعلموا وفقكم الله أن غل ينصرف في اللغة على ثلاثة معان : الأول : خيانة مطلقة ، الثاني : في الحقد ، يقال في الأول : تغل بضم الغين ، وفي الثاني : يغل بكسر الغين ، الثالث : أنه خيانة الغنيمة ؛ وسمي بذلك لوجهين : أحدهما : لأنه جرى على خفاء ، الثاني : قال ابن قتيبة : كان أصله من : خان فيه ، إذا : أدخله في متاعه ، فستره فيه "ا.هـ .

وقال أبو عبيد : الغلول من المغنم خاصة ، ولا نراه من الخيانة ، ولا من الحقد ، انظر : تفسير القرطبي (٤ / ١٧٥) .

(٢) تفسير القرطبي (٤ / ١٧٦) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، ص (٢٢٦) ، رقم : (١٤٠٢) .

بعير له رغاء ، يقول : يا رسول الله ! أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله ! أغثني ، فأقول لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله ! أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك "[١] .

وأخبرت النصوص أن الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها[٢] من الغلول التي يأتي به صاحبه يوم القيامة ، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال : افتتحنا خيبر ، ولم نغنم ذهبا ، ولا فضة ، إنما غنمنا البقر ، والإبل ، والمتاع ، والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القُرى ، ومعه عبد له ، يقال له : مِدْعَم ، أهداه له أحد بني الضِّبَاب ، فبينما هو يَحُطُّ رَحْلَ رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر ، حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئا له الشهادة ، فقال رسول الله ﷺ : " بَلْ ، والذي نفسي بيده ! إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم ، لم تصبها المقاسم ؛ لتشتعل عليه نارا " .

فجاء رجل – حين سمع ذلك من النبي ﷺ – بشراك ، أو بشراكين ، فقال : هذا شيء كنت أصبته ، فقال رسول الله ﷺ : " شراك أو شراكان من نار "[٣] .

وحديث[٤] عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : كان على ثقل النبي ﷺ رجل يُقَالُ له : كركرة[٥] ، فمات ، فقال رسول الله ﷺ : " هو في النار " ، فذهبوا ينظرون

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الغلول ، ص (٥٠٨) ، رقم : (٣٠٧٣) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول ، ص (٨٢١) ، رقم : (٤٧٣٤) .

(٢) فيما يحل للمجاهد من الغنيمة وما يحرم خلاف بين أهل العلم ؛ مع اتفاقهم على تحريم الغلول ، انظر : .

(٣) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ص (٧١٨) ، رقم : (٤٢٣٤) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول ، ص (٦٢) ، رقم : (٣١٠) .

(٤) رجح الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث غير حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم ، وأنهما قصتان ، انظر : الفتح (٧ / ٥٦٠) .

(٥) كركرة : بفتح الكافين ، وقيل : بكسرهما ، وقيل : بفتح الأولى ، وكسر الثانية ، انظر : الفتح (٦ / ٢١٧) .

إليه ، فوجدوا عباءة قد غلها " ، قال أبو عبد الله : " قال ابن سلام : كركرة يعني بفتح الكاف: وهو مضبوط كذا[١] .

وحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ ، فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مروا على رجل ، فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله ﷺ : " كلا ، إني رأيته في النار في بردة غلها – أو عباءة – " ، ثم قال رسول الله ﷺ : " يا ابن الخطاب ! اذهب فناد في الناس ، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون " ، قال : فخرجت ، فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[٢] .

وأخبرت النصوص أيضا أن هدايا العمال من الغلول التي يأتي به صاحبه يوم القيامة ، كما في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : بعثني النبي ﷺ ساعيا ، ثم قال : " انطلق أبا مسعود ، لا ألفينك يوم القيامة تجيء وعلى ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء ، قد غللته " ، قال : إذا لا أنطلق ، قال : " إذا لا أكرهك "[٣] .

وحديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعمل عاملا ، فجاءه العامل حين فرغ من عمله ، فقال : يا رسول الله ! هذا لكم ، وهذا أُهْدِيَ لي ، فقال له : " أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك ، فنظرت أيهدى لك ، أم لا ؟ " ، ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة ، فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : " أما بعد ، فما بال العامل نستعمله ، فيأتينا ، فيقول : هذا من عملكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه ، فنظر : هل يهدى له ، أم لا ، فو الذي نفس محمد بيده ! لا يغل أحدكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، إن كان بعيرا جاء به له رغاء

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب القليل من الغلول ، ص (٥٠٨ – ٥٠٩) ، رقم : (٣٠٧٤) .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول ، ص (٦٢) ، رقم : (٣٠٩) .

(٣) أبو داود ، كتاب الخراج ، باب في غلول الصدقة ، ص (٤٢٨ – ٤٢٩) ، رقم : (٢٩٤٧) ، واللفظ له ، والطبراني في الكبير (١٧ / ٢٤٧) .

، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار ، وإن كانت شاة جاء بها تيعر ، فقد بلغت " فقال أبو حميد : ثم رفع رسول الله ﷺ يده ، حتى إنا لننظر إلى عفرة إبطيه[١] .

وحديث عدي بن عميرة الكندي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من استعملناه منكم على عمل ، فكتمنا مخيطا ، فما فوقه ؛ كان غلولا يأتي به يوم القيامة " ، قال : فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه ، فقال : يا رسول الله ! اقبل عني عملك ، قال : " وما لك ؟ " ، قال : سمعتك تقول : كذا وكذا ، قال : " وأنا أقوله الآن ، من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذ ، وما نهي عنه انتهى "[٢] .

يقول القرطبي : (ومن الغلول هدايا العمال ، وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغال)[٣] .

ولعل من طريف ما يذكر مما ألحق بالغلول : قول القرطبي : (ومن الغلول : حبس الكتب عن أصحابها ، ويدخل غيرها في معناها ، قال الزهري : إياك وغلول الكتب ، فقيل له : وما غلول الكتب ؟ ، قال : حبسها عن أصحابها)[٤] .

وقال خمير بن مالك : لما أمر بالمصاحف أن تغير ساء ذلك ابن مسعود قال : من استطاع منكم أن يغل مصحفا فليفعل ؛ فإنه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة[٥] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، ص (١١٤٦ – ١١٤٧) ، رقم : (٦٦٣٦) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، ص (٨٢٤) ، رقم : (٤٧٤٣) .

(٢) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، ص (٨٢٤) ، رقم : (٤٧٤٣) .

(٣) تفسير القرطبي (٤ / ١٧٩) .

(٤) تفسير القرطبي (٤ / ١٨٠) .

(٥) المعجم الكبير للطبراني (٩ / ٧٤) .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الغال لا يأتي بما غل يوم القيامة حقيقة ، وإنما يأتي بوزر وإثم ما غل ، وما ورد من رغاء البعير ، وخوار البقر ... أو أن المقصود به التشبيه ، فالله ﷻ يشهر بالغال يوم القيامة ، فكأنه يحمل بعيرا له رغاء ، وبقرة لها خوار .

والذي يظهر – والله أعلم – أن هذا غير صحيح ؛ لحمله النصوص على غير حقيقتها ، وظاهرها ، وأيضا فإن النصوص متكاثرة في الإخبار بحمل أصحاب الذنوب لذنوبهم يومم القيامة ، فلم يعدل هنا عن ذكر الذنب إلى الشاة ، والبعير ، والبقرة ؟ .

يقول القرطبي : (وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجيء به الغال يحمله عبارة عن وزر ذلك ، وشهرة الأمر ، أي : يأتي يوم القيامة قد شهر الله أمره ، كما يشهر لو حمل بعيرا له رغاء ، أو فرسا له حمحمة .

قلت : وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه ، وقد أخبر النبي ﷺ بالحقيقة ؛ فهو أولى)[١] .

ويقول القرطبي : (قال بعض العلماء : أراد يوافي بوزر ذلك يوم القيامة ، كما قال في آية أخرى : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الانعام : ٣١] .

وقيل : الخبر محمول على شهرة الأمر ، أي : يأتي يوم القيامة قد شهر الله أمره ، كما يشهر لو حمل بعيرا له رغاء ، أو فرسا له حمحمة .

قلت : وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه ، وإذا دار الكلام بين الحقيقة والمجاز فالحقيقة الأصل ، كما في كتب الأصول ، وقد أخبر النبي ﷺ بالحقيقة ، ولا عطر بعد عروس)[٢] .

---

(١) التذكرة (١ / ٦٩٤) .

(٢) تفسير القرطبي (٤ / ١٧٧) .

الصنف السادس : أهل الوضوء :

أهل الوضوء يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، لحديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين[١] من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل "[٢] ، وفي رواية لمسلم : " أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء ، فمن استطاع منكم فليطل غرته ، وتحجيله "[٣] .

وحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة ، فقال : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا " ، قالوا : أولسنا إخوانك ؟ يا رسول الله ، قال : " أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد " ، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك ؟ يا رسول الله ، فقال : " أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ " ، قالوا : بلى ، يا رسول

---

(١) يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم (٣ / ١٢٩) : " قال أهل اللغة : الغرة : بياض في جبهة الفرس ، والتحجيل : بياض في يديها ، ورجليها ، قال العلماء : سُمِّيَ النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلا تشبيها بغرة الفرس ، والله أعلم "ا.هـ .

ويقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١ / ٢٨٤) : " قوله : " غرا " – بضم المعجمة ، وتشديد الراء – : جمع : أغر ، أي : ذو غرة ، وأصل الغرة : لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ، ثم استعملت في الجمال ، والشهرة ، وطيب الذكر ، والمراد بها هنا : النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ ... قوله : " محجلين " – بالمهملة والجيم – : من : التحجيل ، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس ، وأصله من : الحجل – بكسر المهملة – ، وهو : الخلخال ، والمراد به هنا أيضا : النور " .

ويقول ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (١ / ٣٩٦) : " الغرة والتحجيل : نور يعرفون به ، ثوابا للوضوء " .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب من أجاب السائل باكثر مما سأله ، ص (٢٨) ، رقم : (١٣٦) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل ، ص (١٢١) ، رقم : (٥٨٠) .

(٣) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل ، ص (١٢١) ، رقم : (٥٧٩) .

الله ، قال : " فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقا ، سحقا "[١] .

وحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " إن حوضي أبعد من أيلة من عدن ، لهو أشد بياضا من الثلج ، وأحلى من العسل باللبن ، ولآنيته أكثر من عدد النجوم ، وإني لأصد الناس عنه ، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه " ، قالوا : يا رسول الله ! أتعرفنا يومئذ ؟ ، قال : " نعم ، لكم سيما ليست لأحد من الأمم ، تردون علي غرا ، محجلين ؛ من أثر الوضوء "[٢] .

وفي حديث حذيفة ﷺ : " قالوا : يا رسول الله وتعرفنا ؟ ، قال : " نعم ، تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ، ليست لأحد غيركم "[٣] .

وَ (الظاهر : أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل ، لا أصل الوضوء)[٤] ، فالغرة والتحجيل من خصائص هذه الأمة لا يشاركها فيهما أحد لصريح هذا الحديث " لكم سيما ليست لأحد من الأمم " ، أما أصل الوضوء فليس خاصا بهذه الأمة ، بل قد ثبت في الأحاديث للأمم السابقة[٥] .

---

(١) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل ، ص (١٢١) ، رقم : (٥٨٤) .

(٢) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل ، ص (١٢٢) ، رقم : (٥٨١) .

(٣) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل ، ص (١٢٢) ، رقم : (٥٨٣) .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١ / ٢٨٤) .

(٥) يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١ / ٢٨٤ – ٢٨٥) : (استدل الحليمي بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة ، وفيه نظر ؛ لأنه ثبت عند المصنف في قصة سارة ﵂ مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ ، وتصلي ، وفي قصة جريج الراهب أيضا أنه قام فتوضأ ، وصلى ، ثم كلم الغلام .

فالظاهر : أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل ، لا أصل الوضوء ، وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن أبي هريرة أيضا مرفوعا قال : " سيما ليست لأحد غيركم " ، وله من حديث حذيفة نحوه ، وسيما – بكسر المهملة ، وإسكان الياء الأخيرة – : أي : علامة .

وقد جاء التصريح بأن الغرة من السجود في حديث عبد الله بسر أن رسول الله ﷺ قال : " ما من أمتي من أحد إلا أنا أعرفه يوم القيامة " ، قالوا : وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق ؟ ، قال : " أرأيت لو دخلت صبرة فيها خيل دهم بهم ، وفيها فرس أغر محجل ، أما كنت تعرفه منها ؟ " ، قال : بلى ، قال : " فإن أمتي يومئذ غر من السجود ، محجلون من الوضوء "[١] .

وهذا لا يعارض ما قبله : فإما أن يكون للغرة عدة أسباب ، منها : السجود ، والوضوء ... وإما أن يحمل الوضوء في الأحاديث على السجود لأنه أثره ، وبعده ، والأول أرجح لظاهر الحديث ، والله أعلم .

يقول المناوي : (" محجلون من الوضوء " : أي : من أثر وضوئهم في الدنيا ، وقد سجدت الأمم قبلهم فلم يظهر على جباههم ، وتطهروا فلم يظهر على أطرافهم من ذلك شيء ، فتلك إشارة هذه الأمة في الموقف يعرفون بها ، ذكره الحكيم .

وهذا لا تدافع بينه وبين خبر الشيخين الآتي : " إن أمتي يدعون يوم القيامة ، غرا ، محجلين ؛ من آثار الوضوء " .

وما ذاك إلا لأن المؤمن يكسى في القيامة نورا من أثر السجود ، ونورا من أثر الوضوء ، نور على نور ، فمن كان أكثر سجودا أو أكثر وضوءا في الدنيا كان وجهه أعظم ضياء ، وأشد إشراقا ؛ من غيره ، فيكونون فيه على مراتب من عظم النور ، والأنوار لا

وقد اعترض بعضهم على الحليمي بحديث : " هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي " ، وهو حديث ضعيف ، كما تقدم ، لا يصح الاحتجاج به لضعفه ، ولاحتمال أن يكون الوضوء من خصائص الأنبياء دون أممهم ، إلا هذه الأمة "ا.هـ ، وانظر : شرح صحيح مسلم للنووي (٣ / ١٢٩) .

(١) رواه أحمد في المسند (٢ / ٢٣٧) ، رقم : (١٧٦٩٣) ، وقال محققوه : " إسناده صحيح ، على شرط مسلم " ، واللفظ له ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٢٦١) ، والترمذي ، كتاب الجمعة ، باب ما ذكر من سيما هذه الأمة من آثار السجود والطهور يوم القيامة ، ص (١٥٦) ، رقم : (٦٠٧) ، وقال : " حسن ، صحيح ، غريب ؛ من هذا الوجه ، من حديث عبد الله بن بسر " ، وقال الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩ / ١٠٨) : " الحديث على شرط مسلم ، والله أعلم " ، ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٣٦) .

تتزاحم ، ألا ترىٰ أنه لو أدخل سراج في بيت ملأه نورا ، فإذا أدخل فيه آخر ، ثم آخر ؛ امتلأ بالنور من غير أن يزاحم الثاني الأول ، ولا الثالث الثاني وهكذا ؟)[١] .

ويقول المباركفوري : (فإن قلت : جعل السجود في حديث عبد الله بن بسر المذكور في هذا الباب علة للغرة يعارضه جعل الوضوء علة للغرة والتحجيل في حديث أبي هريرة ، وحديث أبي الدرداء ؛ الذين ذكرنا لفظهما آنفا ؟ .

قلت : يمكن أن يقال : إن للغرة علتين : السجود ، والوضوء ، وأما التحجيل فعلته : هو الوضوء وحده ، والله – تعالىٰ – أعلم)[٢] .

---

(١) فيض القدير (٢ / ٢٣٢) .

(٢) تحفة الأحوذي (٣ / ٢٦٩) .

الصنف السابع : أهل الغدر :

المقصود بالغدر هو عدم الوفاء بالعهد ، يقول النووي : (أما الغادر فهو الذي يواعد على أمر ، ولا يفي به ، يقال : غدر ، يغدر بكسر الدال في المضارع)[١] .

ويأتي الغادر يوم القيامة وله لواء مرفوع من عند استه ، فيه : هذه غدرة فلان بن فلان ، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة ، فقيل : هذه غدرة فلان بن فلان "[٢] ، وفي رواية : " لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به ، هذه غدرة فلان بن فلان "[١] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ٢٧١) .

(٢) البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يدعى الناس بآبائهم ، ص (١٠٧٦) ، رقم : (٦١٧٧ وَ ٦١٧٨) ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر ، ص (٧٦٩ – ٧٧٠) ، رقم : (٤٥٢٩) ، واللفظ له .

قال القرطبي في التذكرة (٢ / ٦٩٨ – ٦٩٩) : " قوله : " هذه غدرة فلان بن فلان " : دليل على الناس يدعون بأسمائهم ، وأسماء آبائهم ... وفي هذا رد على من قال : إنما يدعون بأسماء أمهاتهم ، لأن في ذلك سترا على آبائهم ، وهذا الحديث خلاف قولهم "ا.هـ .

وقد بوب البخاري على حديث ابن عمر رضي الله عنهما هذا بقوله : " باب ما يدعى الناس بآبائهم " ، وعلق عليه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠ / ٥٧٩) بقوله : " كذا للأكثر ، وذكره ابن بطال بلفظ : هل يدعى الناس ؟ ، زاد في أوله : هل ، وقد ورد في ذلك حديث لأم الدرداء سأنبه عليه في باب تحويل الاسم واستغنى المصنف عنه لما لم يكن على شرطه بحديث الباب ، وهو حديث ابن عمر في الغادر يرفع له لواء ، لقوله فيه : " غدرة فلان بن فلان " ، فتضمن الحديث : أنه ينسب إلى أبيه في الموقف الأعظم ... وقال ابن بطال في هذا الحديث : رد لقول من زعم أنهم لا يدعون يوم القيامة إلا بأمهاتهم سترا على آبائهم ، قلت : هو حديث أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ، وسنده ضعيف جدا ، وأخرج بن عدي من حديث أنس مثله ، وقال : منكر ، أورده في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الطبري ، قال ابن بطال : والدعاء بالآباء أشد في التعريف ، وأبلغ في التمييز ... وفي الحديث : جواز الحكم بظواهر الأمور ، قلت : وهذا يقتضي حمل الآباء على من كان ينسب إليه في الدنيا ، لا على ما هو في نفس الأمر ، وهو المعتمد ، وينظر كلامه من شرحه "ا.هـ .

وفي حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به "(٢) ، وفي رواية : " لكل غادر لواء يوم القيامة ، قال أحدهما : ينصب ، وقال الآخر : يرىٰ يوم القيامة ، يعرف به "(٣) .

وحديث أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال : " لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة "(٤) ، وفي رواية : " لكل غادر لواء يوم القيامة ، يرفع له بقدر غدره ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة "(٥) .

يقول القرطبي : (قوله : " لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له " : هذا منه ﷺ خطاب للعرب بنحو ما كانت تفعل ، وذلك : أنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء ، وللغدر راية سوداء ، ليشهروا به الوفي ، فيعظموه ، ويمدحوه ، والغادر فيذموه ، ويلوموه بغدره ، وقد شاهدنا هذا فيهم عادة مستمرة إلىٰ اليوم .

فمقتضىٰ هذا الحديث : أن الغادر يفعل به مثل ذلك ؛ ليشهر بالخيانة والغدر ، فيذمه أهل الموقف ، ولا يبعد أن يكون الوفي بالعهد يرفع له لواء يعرف به وفاؤه وبره ، فيمدحه أهل الموقف ، كما يرفع لنبينا ﷺ لواء الحمد ؛ فيحمده كل من في الموقف .

وقوله : " بقدر غدرته " : يعني : أنه إن كانت غدرته كبيرة عظيمة رفع له لواء كبير ، عظيم ، مرتفع ، حتىٰ يعرفه بذلك من قرب منه ، ومن بَعُدَ .

ويقول الشنقيطي في أضواء البيان (٣ / ٤٥٠) : (وقول من قال : إن المراد بـ ﴿بِإِمَٰمِهِمۡ﴾ [الإسراء : ٧١] ، كمحمد بن كعب : أمهاتهم ، أي : يقال : يا فلان ابن فلانة – قول باطل بلا شك ، وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر مرفوعا : " يرفع يوم القيامة لكل غادر لواء ، فيقال : هذه غدرة فلان ابن فلان ")ا.هـ .

(١) البخاري ، كتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت ، ص (١٢٠١) ، رقم : (٦٩٦٦) ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر ، ص (٧٧٠) ، رقم : (٤٥٣٥) ، واللفظ له .

(٢) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر ، ص (٧٧٠) ، رقم : (٤٥٣٦) .

(٣) البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب ، ص (٥٣١) ، رقم : (٣١٨٦ وَ ٣١٨٧) .

(٤) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر ، ص (٧٧٠) ، رقم : (٥٣٧) .

(٥) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر ، ص (٧٧٠) ، رقم : (٤٥٣٨) .

وقوله : " عند استه " : معناه – والله أعلم – : عند مقعده ؛ أي : يلزم اللواء به ، بحيث لا يقدر على مفارقته ، ليمر به الناس فيروه ، ويعرفوه ، فيزداد خجلا ، وفضيحة عند كل من مَرَّ به .

وقوله : " ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة " : يعني : أن الغدر في حقه أفحش ، والإثم عليه أعظم منه على غيره ؛ لعدم حاجته إلى ذلك ، وهذا كما قاله ﷺ في الملك الكذاب ، كما تقدم في كتاب الإيمان .

وأيضا : فلما في غدر الأئمة من المفسدة ، فإنهم إذا غدروا ، وعلم ذلك منهم ، لم يأمنهم العدو على عهد ، ولا صلح ، فتشتد شوكته ، ويعظم ضرره ، ويكون ذلك منفرا من الدخول في الدين ، وموجبا لذم أئمة المسلمين .

وقد مال أكثر العلماء : إلى أنه لا يقاتل مع الأمير الغادر ، بخلاف الخائن ، والفاسق ، وذهب بعضهم إلى الجهاد معه ، والقولان في مذهبنا ، والله – تعالى – أعلم)[١] .

والحكمة في هذه العقوبة أن الغدر من الغادر يكون بخفاء في الدنيا فعاقبه الله ﷻ بأن شهره في الآخرة ، يقول القاضي عياض : (لما كان الغدر مكتوما ومستترا به شهر به صاحبه ، وكشف ستره ؛ لتتم فضيحته ، ويتشنع ذلك معاقبة ، كما شهر امرؤ القيس في الآخرة بلواء الشعر)[٢] .

ويقول ابن كثير : (الحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس ، فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل)[٣] .

ويقول الحافظ ابن حجر : (قال بن أبي جمرة : ... والحكمة في نصب اللواء : أن العقوبة تقع غالبا بضد الذنب ، فلما كان الغدر من الأمور الخفية ناسب أن تكون عقوبته بالشهرة ، ونصب اللواء أشهر الأشياء عند العرب)[٤] .

---

(١) المفهم (٣ / ٥٢٠ – ٥٢١) .

(٢) إكمال المعلم (٦ / ٣٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٦ / ١٦٦) .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٧٩) .

ويقول الحافظ ابن حجر في الحكمة من وضع اللواء عند است الغادر : (" عند استه " : قال ابن المنير : كأنه عومل بنقيض قصده ؛ لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس فنصب عند السفل زيادة في فضيحته ، لأن الأعين غالبا تمتد إلى الألوية ، فيكون ذلك سببا لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم ، فيزداد بها فضيحة)[١] .

والذي يظهر أن اللواء واحد لا يتعدد ، مهما كثر الغدر من الغادر ، وذهب بعض أهل العلم إلى تعدد الألوية ، فلكل غدرة لواء ، يقول الحافظ ابن حجر : (قال بن أبي جمرة : ... وظاهر الحديث أن لكل غدرة لواء ، فعلى هذا يكون للشخص الواحد عدة ألوية بعدد غدراته)[٢] .

والذي يظهر – والله أعلم – أنه غير صحيح ؛ لظاهر قوله : " لكل غادر " ، ولم يقل : " لكل غدرة " .

والذي يظهر أن هذه الأحاديث عامة في كل غادر في كل غدرة ، يقول الحافظ ابن حجر : (قال ابن أبي جمرة : والغدر على عمومه ؛ في الجليل ، والحقير)[٣] .

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه خاص بغدر الإمام ، يقول النووي : (المشهور : أن هذا الحديث وارد في ذم الإمام الغادر ، وذكر القاضي عياض احتمالين : أحدهما : هذا ، وهو : نهي الإمام أن يغدر في عهوده لرعيته ، وللكفار ، وغيرهم ، أو غدره للأمانة ؛ التي قلدها لرعيته ، والتزم القيام بها ، والمحافظة عليها ، ومتى خانهم ، أو ترك الشفقة عليهم ، أو الرفق بهم ؛ فقد غدر بعهده ، والاحتمال الثاني : أن يكون المراد نهي الرعية عن الغدر بالإمام ، فلا يشقوا عليه العصا ، ولا يتعرضوا لما يخاف حصول فتنة بسببه ، والصحيح الأول ، والله أعلم)[٤] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٣٢٧ – ٣٢٨) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٧٩) .

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٧٩) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ٢٧١) ، وانظر : إكمال المعلم (٦ / ٤١) .

ويقول الحافظ ابن حجر بعد أن ذكره : (قلت : ولا أدري ما المانع من حمل الخبر على أعم من ذلك ؟!)[١] .

ويقول ابن دقيق العيد : (وقد يراد بهذا الغدر : ما هو أعم من أمر الحروب ، وهو ظاهر اللفظ ، وإن كان المشهور بين جماعة من المصنفين وضعه في معنى الحرب)[٢] .

وهل لكل ذنب من الذنوب لواء ، أم هو خاص بالغادر ؟ ، يقول الحافظ ابن حجر : (قال ابن أبي جمرة : ... وفيه : أن لصاحب كل ذنب من الذنوب التي يريد الله إظهارها علامة يعرف بها صاحبها ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن : ٤١])[٣] .

وهل هناك ألوية حمد ، وتشريف ، وألوية خزي ، وإهانة ؛ يوم القيامة ؟ ، يقول القرطبي : (قوله : " ويرفع لكل غادر لواء يوم القيامة " : دليل على أن في الآخرة للناس ألوية ، فمنها ألوية خزي ، وفضيحة ، يعرف بها أهلها ، ومنها ألوية حمد ، وثناء ، وتشريف ، وتكريم ، قال ﷺ : " لواء الحمد بيدي "[٤] ، ويروى : " لواء الكرم " ...

وروى الزهري عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : " امرؤ القيس حامل لواء الشعراء إلى النار "[٥] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٣٢٨) .

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢ / ٣٠٩) .

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٥٧٩) .

(٤) الترمذي ، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل ، ص (٧١٠ – ٧١١) ، رقم : (٣١٤٨) ، وقال : " حسن ، صحيح " ؛ بلفظ : " وبيدي لواء الحمد ، ولا فخر " .

(٥) رواه أحمد في المسند ، (١٢ / ٢٧) ، رقم : (٧١٢٧) ، وقال محققوه : " إسناده ضعيف جدا " ، ونحوه الديلمي في المأثور بفردوس الخطاب ، رقم : (٣١٥٩) ، وقال الهيثمي في المجمع : (٨ / ١١٩) : " رواه أحمد ، والبزار ، وفي إسناده أبو الجهيم ، شيخ هشيم بن بشير ؛ لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح " .

فعلى هذا من كان إمام ورأسا في أمر ما ، معروفا به ؛ فله لواء يعرف به ، خيرا كان ، أو شرا ، وقد يجوز أن يكون للصالحين والأولياء ألوية يعرفون بها إكراما لهم ، والله أعلم)[١] .

ومثل هذه الأمور الغيبية – والله أعلم – مما يحتاج فيها إلى دليل صريح .

وذهب بعضهم إلى أن نصب اللواء للغادر مجاز عن التشهير به في موقف يوم القيامة ، يقول المناوي : (وقيل : اللواء مجاز عن شهرة حاله في الموقف)[٢] .

ويقول : (" ألا إن لكل غادر لواء " : أي : ينصب له يوم القيامة لواء حقيقة ... وقيل : اللواء مجاز ، والمراد : شهرة حاله وإذاعته بين الملأ في ذلك الموقف الأعظم)[٣] .

ومجموع الأحاديث صريح في أن هذا اللواء لواء حقيقي ، لا مجازي ، لأنه قال : لواء ، واللواء موضوع للرؤية ، والشهرة ، لأنه لواء الجيش ، ويوتى به في المعركة[٤] ، ثم هو يرفع ، وينصب ، ثم يراه أهل الموقف ، ثم يعرف به ، ثم يقال : هذه غدرة فلان ، فهذا مما يدفع المجاز ، ويؤكد إرادة الحقيقة .

الصنف الثامن : الحجاج ، والمعتمرون :

يبعث الحجاج والمعتمرون يوم القيامة وهم يلبون ، لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته ، فوقصته – أو قال : فأوقصته – ، قال

---

(١) التذكرة (٢ / ٦٩٥) .

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٢٣٦) .

(٣) فيض القدير (٢ / ٢٢٨) .

(٤) يقول ابن الأثير في النهاية ص (٨٣٤) : (" لكل غادر لواء يوم القيامة " : أي : علامة يشهر بها في الناس ؛ لأن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس)ا.هـ ، وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٢ / ٢٧١) .

النبي ﷺ : " اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبين ، ولا تحنطوه ، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا "[١] ، وفي رواية : " يلبي "[٢] .

يقول النووي : (قوله ﷺ : " فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا ، وملبدا ، ويلبي " : معناه : على هيأته التي مات عليها ، ومعه علامة لحجه ، وهي دلالة الفضيلة ، كما يجيء الشهيد يوم القيامة وأوداجه تشخب دما)[٣] .

ويقول القاري : (" فإنه يبعث " : أي : يحشر ، " يوم القيامة ملبيا " : أي : قائلا : لبيك اللهم لبيك ؛ ليعلم الناس أنه مات محرما)[٤] .

---

(١) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الكفن في ثوبين ، ص (٢٠٢) ، رقم : (١٢٦٥) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الحج ، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات ، ص (٥٠٢) ، رقم : (٢٨٩١) .

(٢) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الكفن في ثوبين ، ص (٢٠٢) ، رقم : (١٢٦٥) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الحج ، باب ما يفعل بالمحرم إذا مات ، ص (٥٠٢) ، رقم : (٢٨٩٤) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٨ / ٣٦٧) ، وانظر : فتح الباري لابن حجر (٣ / ١٦٤) .

(٤) مرقاة المفاتيح (٤ / ١٢٢) .

الصنف التاسع : مانع الزكاة :

جاءت في كيفية حشر مانع الزكاة يوم القيامة عدة أدلة منها :

أولا : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة : ٣٤ – ٣٥] .

يقول القرطبي : (قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة : ٣٥] ... معنى الإحماء : الإيقاد ، أي : يوقد عليها ، ﴿فَتُكْوَىٰ﴾ : الكي : إلصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى يحترق الجلد ، والجباه : جمع الجبهة ... والجنوب : جمع الجنب)[١] .

والحكمة في كي جبينه ، وجنبه ، وظهره ، قيل : إن (في ذلك معاملة له بنقيض قصده ، لأنه قصد منع حق الله منها وهو الارتفاق والانتفاع بما يمنعه منها ، فكان ما قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه)[٢] .

ويقول القرطبي : (الكي في الوجه أشهر وأشنع ، وفي الجنب والظهر آلم وأوجع ، فلذلك خصها بالذكر من بين سائر الأعضاء .

وقال علماء الصوفية : لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ، ولما طووا كشحا عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم .

---

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١١٣ – ١١٤) .

(٢) فتح الباري (٣ / ٣١٦) .

وقال علماء الظاهر : إنما خص هذه الأعضاء لأن الغني إذا رأى الفقير زوى ما بين عينيه ، وقبض وجهه ... وإذا سأله طوى كشحه ، وإذا زاده في السؤال وأكثر عليه ولاه ظهره ؛ فرتب الله العقوبة على حال المعصية)(١) .

ويقول الحافظ ابن حجر : (قال البيضاوي : خص الجنب والجبين والظهر لأنه جمع المال ولم يصرفه في حقه ؛ لتحصيل الجاه ، والتنعم بالمطاعم ، والملابس ، أو لأنه أعرض عن الفقير ، وولاه ظهره ، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة ؛ لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة ، وقيل : المراد بها الجهات الأربع التي هي : مقدم البدن ، ومؤخره ، وجنباه ، نسأل الله السلامة)(٢) .

ثانيا : حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من صاحب ذهب ، ولا فضة ، لا يؤدي منها حقها ؛ إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار " .

قيل يا رسول الله : فالإبل ؟ ، قال : " ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ، ومن حقها : حلبها يوم وردها ، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ، أوفرَ ما كانت ، لا يفقد منها فصيلا واحدا ، تطؤه بأخفافها ، وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار " .

قيل يا رسول الله : فالبقر ، والغنم ؟ ، قال : " ولا صاحب بقر ، ولا غنم ، لا يؤدي منها حقها ؛ إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ، لا يفقد منها شيئا ، ليس فيها عقصاء ، ولا جلحاء ، ولا عضباء ، تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه

---

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١١٤) .

(٢) فتح الباري (٣ / ٣١٧) .

أولاها رد عليه أخراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار " الحديث[١] .

وحديث أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت ، إذا هو لم يعط فيها حقها ، تطؤه بأخفافها ، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها ، تطؤه بأظلافها ، وتنطحه بقرونها " ، وقال : " ومن حقها أن تحلب على الماء "[٢] .

والحكمة في كونها تأتي كلها : " لا يفقد منها فصيلا واحدا " ، وَ " لا يفقد منها شيئا " ، مع أن الزكاة إنما هي في بعض المال لا كله : أن الزكاة حق مشاع في المال ، غير متميز ، ولأن الزكاة مطهرة لكل المال ، فإذا لم يزكي لم يطهر ماله كله ، يقول الحافظ ابن حجر : (والحكمة في كونها تعاد كلها ، مع أن حق الله فيها إنما هو في بعضها ؛ لأن الحق في جميع المال غير متميز ، ولأن المال لما لم تخرج زكاته غير مطهر)[٣] .

والحكمة في أن الإبل والغنم تأتي على صاحبها يوم القيامة على خير ما كانت : أن الإبل والغنم لها عند صاحبها في الدنيا حالات ، تسمن تارة ، وتنقص أخرى ، لكنها يوم القيامة تأتي على أكمل حالة من السمن ، والعظم ؛ ليكون ذلك أشد في عذابه ، يقول الحافظ ابن حجر : (قوله : " على خير ما كانت " : أي : من العظم ، والسمن ، ومن الكثرة ، لأنها تكون عنده على حالات مختلفة ، فتأتي على أكملها ؛ ليكون ذلك أنكى له ؛ لشدة ثقلها)[٤] .

ثالثا : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

---

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، ص (٣٩٧) ، رقم : (٢٢٩٠) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، با إثم مانع الزكاة ، ص (٢٢٦) ، رقم : (١٤٠٢) .

(٣) فتح الباري (٣ / ٣١٦) .

(٤) فتح الباري (٣ / ٣١٥) .

وجاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما من صاحب إبل ، لا يفعل فيها حقها ، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط ، وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها ، وأخفافها ، ولا صاحب بقر ، لا يفعل فيها حقها ، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت ، وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها ، وتطؤه بقوائمها ، ولا صاحب غنم ، لا يفعل فيها حقها ، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت ، وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها ، ليس فيها جماء ، ولا منكسر قرنها ، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه ، إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع ، يتبعه فاتحا فاه ، فإذا أتاه فر منه ، فيناديه : خذ كنزك الذي خبأته ، فأنا عنه غني ، فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده في فيه ، فيقضمها قضم الفحل "[١] .

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع ، له زبيبتان[٢] ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني : بشدقيه – ، ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] إلى آخر الآية[٣] .

---

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، ص (٣٩٩ – ٤٠٠) ، رقم : (٢٢٩٦) .

(٢) يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣ / ٣١٧) : " المراد بالشجاع – وهو بضم المعجمة ، ثم جيم – : الحية الذكر ، وقيل : الذي يقوم على ذنبه ، ويواثب الفارس ، والأقرع : الذي تقرع رأسه ، أي : تمعط لكثرة سمه ، وفي كتاب أبي عبيد : سمي أقرع لأن شعر رأسه يتمعط ؛ لجمعه السم فيه ، وتعقبه القزاز بأن الحية لا شعر برأسها ، فلعله يذهب جلد رأسه ، وفي تهذيب الأزهري : سمي أقرع لأنه يقري السم ويجمعه في رأسه ، حتى تتمعط فروة رأسه ... وقال القرطبي : الأقرع من الحيات : الذي ابيض رأسه من السم ، ومن الناس : الذي لا شعر برأسه .

قوله : " له زبيبتان " : تثنية : زبيبة – بفتح الزاي ، وموحدتين – ، وهما : الزبدتان اللتان في الشدقين ، يقال : تكلم حتى زبد شدقاه ، أي : خرج الزبد منهما ، وقيل : هما النكتتان السوداوان فوق عينيه ، وقيل : نقطتان يكتنفان فاه ، وقيل : هما في حلقه بمنزلة زنمتي العنز ، وقيل : لحمتان على رأسه ، مثل القرنين ، وقيل : نابان يخرجان من فيه "ا.هـ .

(٣) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، ص (٢٢٦) ، رقم : (١٤٠٣) .

وفي الحديثين تفسير من النبي ﷺ للآية ، فلا ينبغي العدول عنه إلى أقوال أخر ، يقول ابن العربي : (المختار الصحيح : أن هذه الآية دليل على وجوب الزكاة ؛ لأن هذا وعيد لمانعها ، والوعيد المقترن بالفعل المأمور به ، والمنهي عنه ؛ على حسب اقتضاء الوجوب أو التحريم ، وهذا الوعيد بالعقاب مفسر في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ، روى الأئمة عنه أنه قال : " ما من مال لا يؤدى زكاته إلا جاء يوم القيامة شجاعا أقرع ، له زبيبتان ، يأخذه بشدقيه ، يقول : أنا مالك ، أنا كنزك " ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمـــــران : ١٨٠] إلى آخرها ، وهذا نص ، لا يعدل عنه إلى غيره)[١] .

في هذه الأدلة ذكر عذاب مانع الزكاة لصنفين من الأموال :

الأول : من كان ماله من بهيمة الأنعام ، من : الإبل ، والبقر ، والغنم :

فهذا تأتيه يوم القيامة لا ينقص من عددها شيئا ، ولا ينقص منها شيئا ، من قرونها ، وأظلافها ، وتأتي على أوفر ما كانت عنده ، ليزداد عذابه ، فيقعد لها صاحبها في قاع تنطحه ، وتطؤه ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

الثاني : من كان ماله الذهب ، والفضة :

فهذا جاء عذابه على ثلاثة أوجه :

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٣٢٤) ، وانظر : تفسير القرطبي (٤ / ١٩٩) .

وفي الآية قول آخر ، وهو أن المراد بها : أهل الكتاب ، ومعناها : أنهم بخلوا بما عندهم من خبر النبي ﷺ ، وصفته ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، يقول ابن العربي في أحكام القرآن (١ / ٣٢٥) : " أما أن القول الثاني يدخل في الآية بطريق الأولى ؛ لأنه إذا منع واجبا مما أخبر به صاحب الشريعة فاستحق العقاب ، فمنعه وقطعه لموجب الشريعة ومبلغها ، وشارحها أولى بوجوب العقاب ، وتضعيفه "ا.هـ ، وانظر : تفسير القرطبي (٤ / ١٩٩) .

الأول : أنه يصفح لمانع الزكاة ذهبه ، وفضته ، صفائح من نار ، ثم يحمىٰ عليها في نار جهنم ، ثم يكوىٰ بها جنبه ، وجبينه ، وظهره ، كلما بردت هذه الصفائح أعيدت له ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتىٰ يقضى بين العباد ، فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة ، وإما إلىٰ النار .

وهذه العقوبة هي المذكورة في قول الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤ – ٣٥] .

الثاني : أن يأتيه كنزه من ذهبه وفضته يوم القيامة في صورة شجاع أقرع ، فيتبع الثعبانُ مانعَ الزكاة ، وهو فاتح له فاه ، فإذا أتىٰ الثعبانُ مانعَ الزكاة فَرَّ منه ، وهرب ، فيناديه الثعبان : خذ كنزك الذي خبأته ، فأنا عنه غني ، فإذا رأىٰ مانع الزكاة أن لا بد منه سلك يده في فِيّ الثعبان ، فيقضم الثعبانُ يَدَ مانعِ الزكاة قضم الفحل .

الثالث : أن يأتيه كنزه من ذهبه وفضته يوم القيامة في صورة شجاع أقرع ، له زبيبتان ، ثم يطوق الثعبانُ مانعَ الزكاة (أي : يصير له ذلك الثعبان طوقا)[١] ، ثم يأخذ بشدقيه ، ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، (وفائدة هذا القول : الحسرة ، والزيادة في التعذيب ، حيث لا ينفعه الندم ، وفيه نوع من التهكم)[٢] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣ / ٣١٧) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣ / ٣١٨) .

وأخبر النبي ﷺ أن هذه العقوبة هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ [آل عمران : ١٨٠][١] .

وهذه العقوبات الثلاث – والله أعلم – تعود إلى عقوبتين : الأولى : أن يصفح له ماله صفائح من نار ، فيعذب به ، والثاني : أن يمثل له ماله في صورة ثعبان أقرع ، يفر منه بداية الأمر ، ثم يدركه الثعبان ، فيطوقه ، فيعذبه .

وهل هاتان العقوبتان تجتمع على مانع الزكاة ، أم تختلف باختلاف الأشخاص ، فبعضهم يكوى بماله ، وبعضهم يصير ماله على هيئة ثعبان ؟ .

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا مانع من اجتماع العقوبتين على مانع الزكاة ، يقول الحافظ ابن حجر : (قوله : " مثل له " : أي : صور ، أو ضمن مثل معنى التصيير ، أي : صير ماله على صورة شجاع ... ووقع في رواية زيد بن أسلم : " ما من صاحب ذهب ، ولا فضة ، لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه ، وجبينه ، وظهره " .

ولا تنافي بين الروايتين لاحتمال اجتماع الأمرين معا ، فرواية بن دينار توافق الآية التي ذكرها ، وهي : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، ورواية زيد بن أسلم توافق قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة : ٣٥] الآية)[٢] .

وجوز بعضهم أن تكون إحدى العقوبتين في موطن ، والأخرى في موطن آخر ، يقول القرطبي : (واختلفت الآثار في كيفية الكي بذلك) ، ثم ذكر بعض الأحاديث ، ثم قال : (قلت : ولعل هذا يكون في مواطن : موطن يمثل المال فيه ثعبانا ، وموطن يكون

---

(١) فائدة : يقول الحافظ ابن حجر فتح الباري (٣ / ٣١٧) : " في هذين الحديثين : تقوية لقول من قال : المراد بالتطويق في الآية الحقيقة ، خلافا لمن قال : إن معناه سيطوقون الإثم " .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣ / ٣١٧) .

صفائح ، وموطن يكون رضفا ، فتتغير الصفات والجسمية واحدة ، فالشجاع جسم ، والمال جسم ، وهذا التمثيل حقيقة ، بخلاف قوله : " يؤتى بالموت كأنه كبش أملح " ، فإن تلك طريقة أخرى ، ولله ﷻ أن يفعل ما يشاء)[١] .

وهل من منع الزكاة تكون عقوبته فقط في الموقف ، أم يعذب في النار ؟ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (هذا الظالم لما منع الزكاة يحشر مع أشباهه ، وماله ؛ الذي صار عبدا له من دون الله ؛ فيعذب به ، وإن لم يكن هذا من أهل الشرك الأكبر الذين يخلدون في النار ؛ ولهذا قال في آخر الحديث : " ثم يرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار " ، فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يدخل الجنة)[٢] .

ويقول ابن العربي : (إن كان المكتنز كافرا فهذه بعض عقوباته ، وإن كان مؤمنا فهذه عقوبته إن لم يغفر له ، ويجوز أن يعفى عنه)[٣] .

---

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١١٢) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧ / ٦٦) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٤٢١) .

الصنف العاشر : من يظلم شبرا من الأرض :

جاءت عدة أحاديث في بيان عقوبة من يظلم شبرا من الأرض يوم القيامة ، منها :

أولا : حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " من ظلم قيد شبر[١] من الأرض ، طوقه من سبع أرضين "[٢] .

ثانيا : حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من اقتطع شبرا من الأرض ظلما ، طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين "[٣] ، وفي رواية : " طوقه في سبع أرضين يوم القيامة "[٤] ، وفي رواية : " طوقه إلى سبع أرضين "[٥] .

---

(١) يقول القرطبي في المفهم (٤ / ٥٣٤) : (قوله ﷺ : " من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين " ؛ هذا وعيد شديد ، يفيد : أن أخذ شيء من الأرض بغير حقه من أكبر الكبائر على أي وجه كان من غصب ، أو سرقة ، أو خديعة ، قليلا كان ، أو كثيرا ، ألا تسمع قوله ﷺ : " وإن كان قيد شبر ")ا.هـ .

ويقول النووي في شرحه لصحيح مسلم (١١ / ٥١) : (قوله ﷺ : " من ظلم قيد شبر من الأرض " : هو بكسر القاف ، وإسكان الياء ، أي : قدر شبر من الأرض ، يقال : قيد وقاد ، وقيس وقاس ؛ بمعنى واحد)ا.هـ .

ويقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥ / ١٢٥) : (" قيد شبر " وهو بكسر القاف ، وسكون التحتانية – : أي : قدره ، وكأنه ذكر الشبر إشارة إلى استواء القليل والكثير في الوعيد)ا.هـ .

(٢) البخاري ، كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ، ص (٣٩٥) ، رقم : (٢٤٥٣) ، ومسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، ص (٧٠٤) ، رقم : (٤١٣٧) ، واللفظ له .

(٣) البخاري ، كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ، ص (٣٩٥) ، رقم : (٢٤٥٢) ، ومسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، ص (٧٠٣) ، رقم : (٤١٣٢) ، واللفظ له .

(٤) مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، ص (٧٠٤) ، رقم : (٤١٣٣) ، واللفظ له .

(٥) مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، ص (٧٠٤) ، رقم : (٤١٣٤) ، واللفظ له .

ثالثا : حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه ، إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة "[١] .

رابعا : حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين "[٢] .

خامسا : حديث يعلى بن مرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله ﷻ أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ، ثم يطوقه إلى يوم القيامة حتى يقضى بين الناس "[٣] ، وفي رواية : " من أخذ أرضا بغير حق ، كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر "[٤] ، وفي رواية الطبراني : " يحضره " .

سادسا : حديث أبي مالك الأشجعي ﷺ عن النبي ﷺ قال : " أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض ، تجدون الرجلين جارين في الأرض أو في الدار ، فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعا ، فإذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة "[٥] .

وللعلماء في مثل هذه الأحاديث مسالك ثلاثة[٦] :

---

(١) مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، ص (٧٠٤) ، رقم : (٤١٣٦) ، واللفظ له .

(٢) البخاري ، كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ، ص (٣٩٥ – ٣٩٦) ، رقم : (٢٤٥٤) .

(٣) أحمد في المسند (٢٩ / ١١١) ، رقم : (١٧٥٧١) ، وقال محققوه : " إسناده ضعيف " ، وابن حبان (١١ / ٥٦٨) ، رقم : (٥١٦٤) ، وقال محققه : " صحيح " ، والطبراني في الكبير (٢٢ / ٢٧٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٤ / ١٧٥) : " رواه أحمد والطبراني في الكبير والصغير بنحوه بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح "ا.هـ ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم : (٢٤٠) : " سنده جيد " .

(٤) أحمد في المسند (٢٩ / ٩٩) ، رقم : (١٧٥) ، وقال محققوه : " إسناده حسن " .

(٥) أحمد في المسند (٢٩ / ٣٣٤) ، رقم : (١٧٧٩٩) ، وقال محققوه : " إسناده حسن " ، واللفظ له ، والطبراني في الكبير (٣ / ٢٩٩) .

(٦) انظر : غريب الحديث للخطابي (١ / ٢٥٦) ، والمفهم للقرطبي (٤ / ٥٣٤ – ٥٣٥) ، وشرح النووي على صحيح مسلم (١١ / ٥٠) ، وفتح الباري لابن حجر (٥ / ١٢٥ – ١٢٦) .

المسلك الأول : من ذهب إلى أن تطويق الأرض ليس على حقيقته ، وهؤلاء لهم أقوال :
الأول : أن المراد : أنه يكلف نقل ما ظلم من الأرض في القيامة إلى المحشر ، ويكون كالطوق في عنقه ، لا أنه طوق حقيقة ، (فيكون من طوق التكليف ، لا من طوق التقليد)[١] .

الثاني : أن المراد : أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين ، فتكون كل أرض في تلك الحالة كالطوق في عنقه ، وهذا يؤيده حديث ابن عمر رضي الله عنهما : " خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " .

الثالث : أن المراد تعذيبه بذلك ، فيكلف أن يجعل ما ظلمه من الأرض طوقا له ، ولا يستطيع ذلك ، فيعذب بذلك ، كما جاء في حق من كذب في منامه كلف أن يعقد شعيرة .

الرابع : أن المراد بالتطويق : تطويق الإثم ، والمراد به : أن الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الإثم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء : ١٣] .

المسلك الثاني : من حمل الحديث على ظاهره ، وأنه يطوق بالأرض في عنقه حقيقة ، وأن المراد : أن ينقل جميع ما ظلمه إلى أرض المحشر ، ثم يجعل كله في عنقه طوقا له ، ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك .

وهذا القول لا يشكل عليه إلا رواية : " خسف به إلى سبع أرضين " ، وقد توجه بما قاله ابن الأثير : (أي : يخسف الله به الأرض ، فتصير البقعة المغصوبة منها في عنقه كالطوق)[٢] .

---

(١) النهاية ص (٥٦٠) ، وانظر : غريب الحديث للخطابي (١ / ٢٥٦) .

(٢) النهاية ص (٥٦٠) ، وانظر : غريب الحديث للخطابي (١ / ٢٥٦) .

ويقول السندي : (قوله : " خسف به إلى سبع أرضين " قد صح أنه يطوقه من سبع أرضين ، فيحتمل أنه سمي خسفا لأنه إذا طوق تكون الأرض عالما فوقه ، ويكون الرجل تحته ، والله – تعالى – أعلم)[١].

المسلك الثالث : من حمل هذه الأحاديث كلها على ظاهرها ، وقال : إنها عقوبات مختلفة ، تختلف باختلاف الأشخاص .

يقول الحافظ ابن حجر بعد أن عدد بعض الأوجه في مثل هذه الأحاديث : (ويحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية ، أو تنقسم أصحاب هذه الجناية ، فيعذب بعضهم بهذا ، وبعضهم بهذا ؛ بحسب قوة المفسدة ، وضعفها ، وقد روى بن أبي شيبة بإسناد حسن من حديث أبي مالك الأشعري : " أعظم الغلول عند الله يوم القيامة ذراع أرض يسرقه رجل ؛ فيطوقه من سبع أرضين "[٢])[٣] .

المسلك الرابع : من حمل كل هذه الأحاديث على ظاهرها ، وقال : إنها تجمع كلها لمن ظلم شيئا من الأرض :

وهو ظاهر قول البغوي بعد أن ذكر طرفا من هذه الأحاديث ، فقال : (إنه لا تضاد في شيء من ذلك ، ولكن هذه عقوبات الله ﷻ لمن ظلم شبرا من الأرض على ما في هذه الآثار)[٤] .

ويقول القرطبي : (اختلف في معنى : " طوقه " ، فقيل : معناه : كلف أن يطيق حمله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

وقد جاء في غير مسلم : " جاء يحمله يوم القيامة إلى سبع أرضين " .

وفي أخرى : " كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر " .

---

(١) حاشية السندي على المسند (٢ / ١٥١) .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٤ / ٤٤٩) ، ونصه : " أعظم الغلول إلى الله يوم القيامة ذراع أرض يسرقها الرجل ، الرجلان ، والجاران ، يكون بينهما الأرض ، فيسرق أحدهما من صاحبه ، فيطوقه من سبع أرضين " .

(٣) فتح الباري لابن حجر (٥ / ١٢٥ – ١٢٦) .

(٤) شرح مشكل الآثار (١٥ / ٤٩٩) .

وقيل : جعلت في عنقه كالطوق ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وهو ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها : " طوقه من سبع أرضين " .

وقيل : خسف به في مثل الطوق منها ، وهو ظاهر قوله : " طوقه الله إلى سبع أرضين " .

وفي البخاري نصا : " خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " .

وقيل : يجمع ذلك كله عليه .

وقد دل على ذلك ما رواه الطبري في هذا الحديث ، وقال : " كلفه الله حمله حتى يبلغ سبع أرضين ، ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس " ، والله – تعالى – أعلم)[١] .

---

(١) المفهم (٤ / ٥٣٤ – ٥٣٥) .

الصنف الحادي عشر : من يستظل بظل العرش يوم القيامة :

جاء في النصوص الإخبار عن عدة أصناف من أهل الإيمان أن الله يظلهم يوم القيامة ، ومن هؤلاء ما يأتي :

أولا : السبعة الذين يظلهم تحت ظله ، يوم لا ظل إلا ظله :

وهؤلاء جاء ذكرهم في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[١] : الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه[٢] ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم

---

(١) يقول الحافظ ابن رجب فتح الباري لابن رجب (٤ / ٨٥ – ٥٩) : " هذه السبعة اختلفت أعمالهم في الصورة ، وجمعها معنى واحد ، وهو : مجاهدتهم لأنفسهم ، ومخالفتهم لأهوائها ، وذلك يحتاج أولا إلى رياضة شديدة ، وصبر على الامتناع مما يدعو إليه داعي الشهوة ، أو الغضب ، أو الطمع ، وفي تجشم ذلك مشقة شديدة على النفس ، ويحصل لها به تألم عظيم ، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عند هيجانها إذا لم يطفء ببلوغ الغرض من ذلك ، فلا جرم كان ثواب الصبر على ذلك أنه إذا اشتد الحر في الموقف ، ولم يكن للناس ظل يظلهم ويقيهم حر الشمس يومئذ ، وكان هؤلاء السبعة في ظل الله ﷻ ، فلم يجدوا لحر الموقف ألما جزاء لصبرهم على حر نار الشهوة أو الغضب في الدنيا "ا.هـ .

(٢) جاءت عدة أحاديث في إظلال الله للمتحابين فيه ، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ ، اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلي " .

رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الحب في الله تعالى ، ص (١١٢٥) ، رقم : (٦٥٤٨) .

وحديث معاذ بن جبل ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء " .

رواه أحمد في المسند (٣٧ / ٤٤٤ – ٤٤٥) ، رقم : (٢٢٧٨٢) ، وقال محققوه : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات " ، وابن حبان في صحيحه (٢ / ٣٣٨) ، رقم : (٥٧٧) ، وقال محققه : " إسناده جيد " .

شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ، ففاضت عيناه "[١] ، وفي رواية : " سبعة يظلهم الله في ظل عرشه "[٢] .

والصحيح من أقوال أهل العلم : أن المراد بالظل هنا هو : ظل العرش ، كما جاء مصرحا به في الروايات الأخرىٰ ، وكما دلت عليه الأحاديث أن الإظلال يوم القيامة إنما يكون في ظل العرش .

يقول القرطبي : (قوله : " سبعة يظلهم الله في ظله " : أي : في ظل عرشه ، كما جاء في الحديث الآخر ، والمراد به يوم القيامة إذا قام الناس في صعيدها ، وقربت الشمس من الرؤوس ، وأديرت النار بأهل الموقف ، فليس هناك إلا ظل العرش ، فأما ظل الصدقة فمن ظل العرش ، والله أعلم .

ويحتمل أن يراد بالظل هنا : الكنف ، والكرامة ، والوقاية من المكاره ، كما تقول العرب : أنا في ظل فلان ؛ أي : في صيانته ، وكرامته ، وكنفه ، وإلىٰ هذا نحا ابن دينار .

والإمام العادل : هو كل من ولي شيئا من أمور المسلمين ، فعدل فيه)[٣] .

ويقول الطحاوي : (قوله : " يظلهم الله في ظل عرشه " : فأخبر بذلك أن الظل المراد في هذا الحديث هو : ظل عرش الله ﷻ)[٤] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، ص (١٠٧) ، رقم : (٦٦٠) ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، ص (٤١٥) ، رقم : (٢٣٨٠) (١٠٣١) ، واللفظ له .

يقول القرطبي في المفهم (٣ / ٧٧) : " هذا الحديث جدير بأن ينعم فيه النظر ، ويستخرج ما فيه من اللطائف والعبر ، والله الموفق الملهم " .

(٢) البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢ / ٢٢٧) ، والطبراني في الأوسط (٩ / ٦٣) .

(٣) المفهم (٣ / ٧٥) .

(٤) شرح مشكل الآثار (١٥ / ٧٢) .

ويقول ابن رجب : (خرج الإمام أحمد ، والترمذي ، وصححه ؛ من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : " من نفس عن غريمه ، أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة " ، وهذا يدل على أن المراد بظل الله : ظل عرشه)[١] .

ويقول القاضي عياض : (قوله فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله : إضافة الظل هنا إلى الله إضافة ملك ، وكل ظل فهو لله ، ومن خلقه ، وملكه ، وسلطانه ، وهو ظل العرش على ما فى الحديث الآخر ، والمراد بذلك يوم القيامة ، إذا قام الناس لرب العالمين ، ودنت منهم الشمس ، ويشتد عليهم الحر ، ويأخذهم العرق ، ولا ظل هناك لشىء إلا ظل العرش ، كما جاء فى بعض الروايات : " فى ظل عرشى " .

وقد يراد به هنا : ظل الجنة ، أو ظل طوبى ، وهو نعيمها ، والكون فى دارها ، كما قال تعالى : ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء : ٥٧] .

وذهب ابن دينار إلى أن معنى الظل هنا : الكرامة ، والكنف ، والكن من المكاره فى ذلك الموقف ، قال : ولم يرد الظل من الشمس .

وما قال معلوم فى اللسان ، يقال : فلان فى ظل فلان ، أى : فى كنفه ، وحمايته ، وهو أولى الأقوال ، ويكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب ، والكرامة ، وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش ، وفى ظله)[٢] .

ويقول الحافظ ابن حجر : (قوله : " في ظله " : قال عياض : إضافة الظل إلى الله إضافة ملك ، وكل ظل فهو ملكه ، كذا قال ، وكان حقه أن يقول : إضافة تشريف ؛ ليحصل امتياز هذا على غيره ، كما قيل للكعبة : بيت الله ، مع أن المساجد كلها ملكه .

وقيل : المراد بظله : كرامته ، وحمايته ، كما يقال : فلان في ظل الملك ، وهو قول عيسى بن دينار ، وقواه عياض .

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٤ / ٦٤) .

(٢) إكمال المعلم (٣ / ٥٦٢) .

وقيل : المراد : ظل عرشه ، ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن : " سبعة يظلهم الله في ظل عرشه " فذكر الحديث .

وإذا كان المراد : ظل العرش استلزم ما ذكر من كونهم في كنف الله وكرامته ، من غير عكس ، فهو أرجح ، وبه جزم القرطبي .

ويؤيده أيضا تقييد ذلك بيوم القيامة ، كما صرح به ابن المبارك في روايته عن عبيد الله بن عمر ، وهو عند المصنف في كتاب الحدود ، وبهذا يندفع قول من قال : المراد ظل طوبى ، أو ظل الجنة ، لأن ظلهما إنما يحصل لهم بعد الاستقرار في الجنة ، ثم إن ذلك مشترك لجميع من يدخلها ، والسياق يدل على امتياز أصحاب الخصال المذكورة ، فيرجح أن المراد ظل العرش)[١] .

ثانيا : الذي ينظر معسرا ، أو يضع عنه :

لحديث أبي اليسر كعب بن عمرو ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " من أنظر معسرا ، أو وضع عنه ؛ أظله الله في ظله "[٢] .

وحديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من أنظر معسرا ، أو وضع عنه ؛ أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة "[٣] .

وحديث أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من نفس عن غريمه ، أو محا عنه ؛ كان في ظل العرش يوم القيامة "[٤] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢ / ١٦٩) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الزهد ، باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر ، ص (١٢٩٩) ، رقم : (٧٥١٢) .

(٣) أحمد في المسند (١٤ / ٣٢٩) ، رقم : (٨٧١١) ، وقال محققوه : " إسناده صحيح على شرط مسلم " ، والترمذي ، كتاب البيوع ، باب ما جاء في إنظار المعسر ، والرفق به ، ص (٣١٧) ، رقم : (١٣٠٦) ، وقال : " حسن ، صحيح ، غريب ؛ من هذا الوجه " ، والبغوي (٢١٤١) .

(٤) أحمد في المسند (٣٧ / ٣٠٧) ، رقم : (٢٢٦٢٣) ، وقال محققوه : " إسناده صحيح على شرط الشيخين " ، والدارمي في سننه (٣ / ١٦٨٧) ، والبغوي في شرح السنة (٨ / ١٩٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح ، رقم : (٦٥٧٦) .

ثالثا : من يستظل في ظل صدقته يوم القيامة :

يدل له حديث أبي الخير أنه سمع عقبة بن عامر ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس ، أو قال : حتى يحكم بين الناس "[1] .

قال يزيد : فكان أبو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق منه بشيء ، ولو كعكة ، ولو بصلة .

يقول القرطبي : (أما ظل الصدقة فمن ظل العرش ، والله أعلم)[2] .

رابعا : التاجر الصدوق :

لحديث سلمان ﷺ : " التاجر الصدوق مع السبعة في ظل عرش الله يوم القيامة ، والسبعة : إمام عادل ... "[3] الحديث .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٨ / ١٠٤) ، رقم : (٣٣١٠) ، واللفظ له ، وابن خزيمة في صحيحه ، (٢ / ١٠٤٠) ، رقم : (٢٤٣١) ، وصححه الألباني في السلسلة في الصحيحة رقم : (٣٤٨٤) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب ، رقم : (٨٧٢) .

(٢) المفهم (٣ / ٧٥) .

(٣) البيهقي في شعب الإيمان (١١ / ٣٣٣) ، وقال البغوي في شرح السنة (٢ / ٣٥٥) : وروي عن سلمان أنه قال ، ثم ذكره .

وله شاهد عن قتادة قال : كنا نحدث أن التاجر الصدوق الأمين مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة ، رواه أبو بكر بن يزيد الخَلَّال في الحث على التجارة والصناعة والعمل ص (١٠٧) .

فائدة : يقول الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة ص (١٠٩) بعد أن ذكر بعض الأحاديث في الإظلال : " قد قدمت أن أكثر الأحاديث الواردة في هذا الباب – أعني : الإظلال – ضعيفة ، وإنما أوردها لأبين ما فيها تكميلا للفائدة "ا.هـ ، وانظر ما جمعه في هذا في فتح الباري (٢ / ١٦٨ – ١٦٩) .

الصنف الثاني عشر : المقتول :

المقتول يأتي يوم القيامة رأسه بيده ، تشخب أوداجه دما ، متعلقا بيده الأخرى بقاتله ، يقول : يا رب ! ، سل هذا فيم قتلني ؟ ، حتى يدنيه الله ﷻ من العرش ، يدل له عدد من الأحاديث ، منها :

أولا : حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : " يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ، ناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تشخب دما ، يقول : يارب ! قتلني هذا حتى يدنيه من العرش " ، وفي رواية : " يجيء المقتول متعلقا بالقاتل " ، وفي رواية : " إن المقتول يجيء يوم القيامة متعلقا رأسه بيمينه – أو قال : بشماله – آخذا صاحبه بيده الأخرى ، تشخب أوداجه دما ، في قبل عرش الرحمن ، فيقول : رب ! ، سل هذا فيم قتلني ؟ "[١] .

يقول القاري : (" حتى يدنيه من العرش " ، من : أدنى ، أي : يقرب المقتول القاتل من العرش ، وكأنه كناية عن استقصاء المقتول في طلب ثأره ، وعن المبالغة في إرضاء الله – تعالى – إياه بعدله)[٢] .

---

(١) رواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة النساء ، ص (٦٨١) ، رقم : (٣٠٢٩) ، وقال : " حسن ، غريب " ، والنسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، ص (٥٥٨) ، رقم : (٤٠٠٤) ، وأحمد في المسند (٣ / ٤١٣) ، رقم : (١٩٤١) ، وقال محققوه : " إسناده صحيح على شرط مسلم " ، (٤ / ٤٢٠ – ٤٢١) ، رقم : (٢٦٨٣) ، وقال محققوه : " حديث صحيح " ، وصححه إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣ / ١٩٩) ، ، وابن ماجه ، كتاب الديات ، باب هل لقاتل مؤمن توبة ؟ ، ص (٣٧٦ – ٣٧٧) ، رقم : (٢٦٢١) ، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٣ / ١٥) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣ / ٤٠) .

(٢) مرقاة المفاتيح (٧ / ٢٦) .

ثانيا : حديث جندب ﷺ قال : حدثني فلان ، أن رسول الله ﷺ قال : " يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة ، فيقول : سل هذا فيم قتلني ، فيقول : قتلته على ملك فلان " ، قال جندب : " فاتقها " [١] .

يقول المناوي : (" قال : حدثني فلان " : يعني : صحابيا معروفا ، فالجهالة بالنسبة إلينا لا تضر إذ الصحابة كلهم عدول ، وثقات ، أن رسول الله ﷺ قال : " يجيء المقتول بقاتله " : الباء للتعدية ، أي : يأتي به ، أو يحضره ، أو للمصاحبة ، أي : يجيء معه ، " يوم القيامة ، فيقول " : أي : المقتول ، " سل " : أي : ربي ، " هذا فيم " : في تعليلية دخلت على ما الاستفهامية ، حذفت ألفها وجوبا بالتخفيف ، أي : بأي سبب ، ولأي غرض ، " قتلني " : أي : حين قتلني ، " فيقول : قتلته على ملك فلان " : بكسر الميم ، وضمها ، قال الطيبي : فإن قلت : كيف طابق هذا قوله : " فيم قتلني " ، لأنه سأله عن سبب قتله ؟ قلت : قوله : " على ملك فلان " معناه : على عهد ملك من السلاطين ، وزمانه ، أي : في نصرته ، هذا إذا كانت الرواية بضم الميم في الملك ، وإذا روي بالكسر كان المعنى : قتلته على مشاجرة بيني وبينه في ملك زيد مثلا ، قال جندب : فاتقها : أي : اجتنب القتلة ، أو احترز النصرة ، أو المشاجرة ، وهي : المخالفة ، والمنازعة ؛ المفضية إلى القتلة ، قال الطيبي : وكان جندب ينصح رجلا أراد هذه الفعلة ، واستشهد بهذا الحديث ، ثم قال : فإذا سمعت بذلك فاتقها ، والله – تعالى – أعلم بالمراد) [٢] .

والذي يظهر – والله أعلم – أن هذا علم في كل مقتول ، وقاتل ، سواء قتل بحق ، أو مظلوما ، يدل له :

---

(١) النسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، ص (٥٥٨) ، رقم : (٤٠٠٣) ، واللفظ له ، وأحمد في المسند (٣٨ / ١٩٤) ، رقم : (٢٣١١٠) ، وقال محققوه : " إسناد صحيح على شرط الشيخين " .

(٢) مرقاة المفاتيح (٧ / ٤٠) ، وانظر : شرح الطيبي على المشكاة (٧ / ٧٩ – ٨٠) .

ثالثا : حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : " يجيء الرجل آخذا بيد الرجل ، فيقول : يا رب ! ، هذا قتلني ، فيقول الله له : لم قتلته ؟ فيقول : قتلته لتكون العزة لك ، فيقول : فإنها لي ، ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل ، فيقول : إن هذا قتلني ، فيقول الله له : لم قتلته ؟ فيقول : لتكون العزة لفلان ، فيقول : إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه " ، وفي رواية الطبراني ، والبيهقي : " فيقول : إنها ليست له ، بؤ بذنبه "[١] .

يقول ابن الجوزي : (يقضي الله بين العباد ، فيكون أول ما يقضي فيه الدماء ، فيأمر الله كل من قتل فيحمل رأسه ، تشخب أوداجه ، فيقول : يا رب ! سل هذا فيم قتلني ؟ فلا تبقى نفس قتلها قاتل إلا قتل بها ، ولا مظلمة ظلم بها إلا أخذ بها ، وكان في مشيئة الله ﷻ)[٢] .

ويقول ابن كثير : (وفي بعض الأحاديث : " ورأسه في يده " فيتعلق بالقاتل ، حتى ولو كان قتله في سبيل الله ، فيقول : يا رب ، سل هذا فيم قتلني ؟ فيقول الله تعالى : لم قتلته ؟ فيقول : يا رب ! قتلته لتكون العزة لك ، فيقول الله – تعالى – : صدقت ، ويقول المقتول ظلما : يا رب ! سل هذا فيم قتلني ؟ فيقول الله – تعالى – : لم قتلته ؟ فيقول : قتلته لتكون العزة لي [وفي رواية : " لتكون العزة لفلان " فيقول الله – تعالى – : تعست] ، ثم يقتص منه لكل من قتله ظلما ، ثم يبقى في مشيئة الله – تعالى – ، إن شاء عذبه ، وإن شاء رحمه ")[٣] .

---

(١) النسائي في سننه ، كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، ص (٥٥٨) ، رقم : (٤٠٠٢) ، واللفظ له ، والطبراني في الكبير (١٠ / ٩٦) ، وفي الكبرى (٣٤٤٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ٣٣١) ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٨) .

(٢) التبصرة (٢ / ٣١٣) .

(٣) البداية والنهاية (٢٠ / ١٩) .

الصنف الثالث عشر : النائحة :

النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب ، لحديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب "[١] .

يقول القرطبي : (" السربال " : واحد : السرابيل ، وهي : الثياب والقمص ، يعني : أنهن تلطخن بالقطران ، فيصير لهن كالقمص ، حتى يكون اشتعال النار والتصاقها بأجسادهن أعظم ، ورائحته أنتن ، وألمها بسبب الحر أشد)[٢] .

ويقول القاري : (" وعليها سربال " : أي : قميص مطلي ، " من قطران " – بفتح القاف ، وكسر الطاء – : طلاء يطلى به ، وقيل : دهن يدهن به الجمل الأجرب ، وما ضبطناه هو المحفوظ في الحديث ، وعليه القراءة في الآية أيضا إلا ما شذ ، وفي القاموس : القطران بالفتح والكسر وكظربان : عصارة الأبهل ، وأما قول ابن حجر : بكسر الطاء وسكونها فقاصر من جهة الرواية والدراية ، قال الطيبي : القطران ما ينحلب من شجر يسمى الأبهل ، فيطبخ ، فيدهن به الإبل الجرباء ، فيحرق الجرب بحرارته وحدته والجلد ، وقد تبلغ حرارته الجوف ، " ودرع " عطف على " سربال " ... " من جرب " : أي : من أجل جرب كائن بها .

قال الطيبي : أي يسلط على أعضائها الجرب والحكة ، بحيث يغطي جلدها تغطية الدرع ، فتطلى مواقعه بالقطران لتداوى فيكون الدواء ، أدوى من الداء لاشتماله على لذع القطران ، وإسراع النار في الجلود ، واللون الوحش .

قال التوربشتي : خصت بدرع من الجرب لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوات المصيبات ، وتحك بها بواطنهن ؛ فعوقبت في ذلك المعنى بما يماثله في الصورة ، وخصت

---

(١) مسلم ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، ص (٣٧٦) ، رقم : (٢١٦٠) .

(٢) المفهم (٢ / ٥٨٨) وفي بعض النسخ : " وألمها بسبب الجرب أشد " ، أفاده محقق الكتاب .

أيضا بسرابيل من قطران ؛ لأنها كانت تلبس الثياب السود في المآتم ، فألبسها الله تعالى السرابيل لتذوق وبال أمرها .

فإن قلت : ذكر الخلال الأربع ولم يرتب عليها الوعيد سوى النياحة ، فما الحكمة فيه ؟ ، قلت : النياحة مختصة بالنساء ، وهن لا ينزجرن من هجرانهن انزجار الرجال ، فاحتجن إلى مزيد الوعيد)[١] .

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤ / ٢١١) .

الصنف الرابع عشر : من يأتي يوم القيامة ، وجرحه يسيل ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك :

جاءت الأحاديث بأن الشهيد والمتوفي بالطاعون يأتي يوم القيامه وجرحه يسيل ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، ومنها ما يأتي :

الحديث الأول : حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله ، يكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت ، تفجر دما ، اللون لون الدم ، والعرف عرف المسك "[١] .

وفي رواية : " لا يَكْلَمُ أحد في سبيل الله – والله أعلم من يَكْلَمُ في سبيله[٢] – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب ، اللون لون الدم ، والريح ريح مسك "[٣] .

---

(١) البخاري ، كتاب الوضوء ، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء ، ص (٤٣) ، رقم : (٢٣٧) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب المغازي ، باب فضل الجهاد ، والخروج في سبيل الله ، ص (٨٤١ – ٨٤٢) ، رقم : (٤٨٦٣) .

(٢) يقول القرطبي في المفهم (٣ / ٧٠٧) : (قوله : " والله أعلم بمن يكلم في سبيله " : تنبية على وجوب الإخلاص في الجهاد ، وتنويه بالمخلص فيه ، واستبعاد للإخلاص ، وإشعار بقلته) ، وانظر : فتح الباري لابن حجر (٦ / ٢٥) .

ويقول النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٣ / ٢٦) : (قوله ﷺ : " والله أعلم بمن يكلم في سبيله " : هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو ، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

قالوا : وهذا الفضل وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة ، وقطاع الطريق ، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونحو ذلك ، والله أعلم) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، والسير ، باب من يُجْرَح في سبيل الله ﷻ ، ص (٤٦٤) ، رقم : (٢٨٠٣) ، ومسلم ، كتاب المغازي ، باب فضل الجهاد ، والخروج في سبيل الله ، ص (٨٤١) ، رقم : (٤٨٦٢) ، واللفظ له .

وفي رواية : " ما من مكلوم يكلم في سبيل الله[١] إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك "[٢] .

فالشهداء يأتون يوم القيامة ودماءهم تسيل كهيئتها يوم جرحت في الدنيا ، اللون لون الدم ، والرائحة رائحة المسك .

يقول النووي : (قوله ﷺ : " وجرحه يثعب هو " : ... معناه : يجري متفجرا ، أي : كثيرا ، وهو بمعنى الرواية الأخرى : " يتفجر دما " .

قوله ﷺ : " تكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت " : الضمير في كهيئتها يعود على الجراحة ...

قوله ﷺ : " والعرف عرف المسك " : هو بفتح العين المهملة وإسكان الراء ، وهو : الريح[٣])[٤] .

ومجيء الشهيد في سبيل الله ﷻ يوم القيامة على هذه الصفة فيه فضل له ، ففيه شهادة له ببذل نفسه لله ﷻ ، يقول النووي : (قوله ﷺ : " والذي نفس محمد بيده ! ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه لون دم ، وريحه مسك " ... الحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته ، وبذله نفسه في طاعة الله – تعالى –)[٥] .

---

(١) يقول القرطبي المفهم في المفهم (٣ / ٧٠٦) : (قوله : " مامن كلم يكلم في سبيل الله " : أي : مامن جرح بجرح في الجهاد الذي يبتغى به وجه الله) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ، ص (٩٨٤) ، رقم : (٥٥٣٣) ، واللفظ له .

(٣) أي : الرائحة ، يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٢٥) : " العرف : بفتح المهملة ، وسكون الراء ، بعدها فاء ، وهو : الرائحة " .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣ / ٢٦) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣ / ٢٥) ، وانظر فتح الباري لابن حجر (٦ / ٢٥) .

الحديث الثاني : حديث معاذ بن جبل ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " من جاهد في سبيل الله [وقال روح : قاتل في سبيل الله] ، من رجل مسلم فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقا ، ثم مات ، أو قتل ؛ فله أجر الشهداء ، ومن جرح جرحا في سبيل الله ، أو نكب نكبة ؛ فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر[١] ما كانت ، [وقال عبد الرزاق : كأغر ، وروح : كأغزر ، وحجاج : كأعز ما كانت] ، لونها كالزعفران ، وريحها كالمسك ، ومن جرح في سبيل الله فعليه طابع الشهداء "[٢] .

وروايات أن الشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يدمى ، يثغب ويتفجر دما ، كهيئته يوم جرح في الدنيا ؛ ترجح أن هذا لا يكون إلا للشهيد الذي مات بسبب جرحه ، وقبل أن يندمل ، أما من مات بغير جرحه ، أو بعد أن يندمل ؛ فلا تكون له هذه الفضيلة العظيمة .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن كل من جرح في سبيل الله ﷻ فإن جرحه يأتي على هذه الصفة ، وليس الحديث خاصا بالشهيد ، يقول الحافظ ابن حجر : (قوله : " والريح ريح المسك " : ... لأصحاب السنن وصححه الترمذي وبن حبان والحاكم من حديث معاذ بن جبل : " من جرح جرحا في سبيل الله ، أو نكب نكبة ؛ فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها الزعفران ، وريحها المسك " ، وعرف بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد ، بل هي حاصلة لكل من جرح ، ويحتمل أن يكون المراد

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٦ / ٢٥) : (قوله : " كأغزر ما كانت " لا ينافي قوله : " كهيئتها " ؛ لأن المراد : لا ينقص شيئا بطول العهد)ا.هـ .

(٢) أحمد في المسند (٣٦ / ٤٢٨) ، رقم : (٢٢١١٦) ، وقال محققوه : " إسناده صحيح " ، واللفظ له ، والنسائي ، كتاب الجهاد ، باب ثواب من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ، ص (٤٣٢) ، رقم : (٣١٤٣) ، والترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله ، ص (٣٩٩) ، رقم : (١٦٥٧) ، وقال : " صحيح " ، وأبو داود ، كتاب الجهاد ، باب فيمن سأل الله الشهادة ، ص (٣٦٩) ، رقم : (٢٥٤١) .

بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندماله ، لا ما يندمل في الدنيا ، فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول ، ولا ينفي ذلك أن يكون له فضل في الجملة ، لكن الظاهر أن الذي يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دما من فارق الدنيا وجرحه كذلك ، ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث معاذ المذكور : " عليه طابع الشهداء " ، وقوله : " كأغزر ما كانت " : لا ينافي قوله : " كهيئتها " ؛ لأن المراد : لا ينقص شيئا بطول العهد)[١] .

والذي يظهر – والله أعلم – أن هذه الصفة لا تكون يوم القيامة إلا للشهداء ، أو من نصت عليه النصوص صراحة أنه كذلك ، أما الاستدلال بعموم حديث معاذ ﷺ فضعيف ؛ لأمرين :

الأول : أن حديث أبي هريرة ﷺ برواياته نص في الشهيد دون غيره ، لا تحتمل غير ذلك ، وفيها : " لا يَكْلَمُ أحد في سبيل الله " ، وفيها : " ما من مكلوم يكلم في سبيل الله " ، فسبيل الله ﷻ في حديث أبي هريرة ﷺ هو سبيله في حديث معاذ ﷺ ، بل لو قيل : إن رواية : " كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله " أولى بالعموم من حديث معاذ ﷺ لكان لو وجه ، والله أعلم .

أما قوله في حديث معاذ ﷺ : " ومن جرح في سبيل الله فعليه طابع الشهداء " ؛ فإنه يدل على وجوب الإخلاص ، وأن طابع الشهداء ؛ الذي هو سيلان الدم برائحة المسك لا يكون إلا لمن صلحت نيته ، فجاهد في سبيل الله ﷻ ، فالذي يظهر – والله أعلم – أنها كقوله في حديث أبي هريرة ﷺ : " والله أعلم بمن يكلم في سبيله " ، فليس هذا الفضل إلا لمن صلحت نيته .

الثاني : ما جاء في الأحاديث أن الشهداء والمتوفون على فراشهم يختصمون إلى الله ﷻ في الذين يتوفون من الطاعون ، وهذه الأحاديث هما :

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦ / ٢٥) .

الحديث الثالث : حديث عتبة بن عبد السلمي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء ، فيُقال : انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دما ريح المسك[١] ، فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك "[٢] .

والحديث الرابع : حديث العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : " يختصم الشهداء والمتوفون على فراشهم إلى ربنا ﷻ في الذين يتوفون من الطاعون ، فيقول الشهداء : إخواننا قتلوا كما قتلنا ، ويقول المتوفون على فراشهم : إخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا على فرشنا ، فيقول ربنا ﷻ : انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبه جراحهم جراح المقتولين فإنهم منهم ، ومعهم ، فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم "[٣] .

فهذا التخاصم والتقاول بين من مات بالطاعون والشهيد يشير – والله أعلم – إلى أن هذا أمر خاص بالشهيد ، دون غيره ، حتى طولب من مات بالطاعون بالبينة .

وهذان الحديثان الأخيران يدلان على أن من مات بالطاعون فإنه كالشهيد ، يأتي وجرحه يسيل له رائحة المسك .

الصنف الخامس عشر : المؤذنون :

---

(١) يقول السندي في حاشيته على المسند (٤ / ٢٤٦) : (قوله : "فيقال : انظروا " : سبق أن الأموات على الفرش يقولون : هؤلاء منا ، والشهداء يقولون : بل هم منا ، فيقال حينئذ : ريح المسك " بالنصب بدل من " دما ") .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٩ / ١٩٨) ، رقم : (١٧٦٥١) ، واللفظ له ، وقال محققوه : " إسناده حسن " ، والطبراني في الكبير (١٧ / ١١٨) ، وفي مسند الشاميين (٢ / ٤٢٩) ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر ، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز ص (٥٢) ، وقال : " وله شاهد من حديث العرباض بن سارية ﷺ ، أخرجه النسائي ، وأحمد ، والطبراني ، وحسنه الحافظ أيضا ، وهو حسن في الشواهد " .

(٣) رواه أحمد (٢٨ / ٣٩١) ، رقم : (١٧١٥٩) ، واللفظ له ، وقال محققوه : " حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف " ، والنسائي ، كتاب الجهاد ، باب مسألة الشهادة ، ص (٤٣٦) ، رقم : (٣١٦٦) ، والطبراني في مسند الشاميين (٢ / ١٩٥) ، وقال الألباني في أحكام الجنائز ص (٥٢) : " حسن في الشواهد " .

كثرت وتنوعت فضائل المؤذنين في النصوص الشرعية ، ومنها : أن المؤذنين يأتون يوم القيامة وهم أطول أو من أطول الناس أعناقا[١] ، لحديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة "[٢] .

وقد اتفق أهل العلم على أن هذا الحديث من فضائل المؤذنين ، أما معناه فقد جاء الحديث بروايتين : الأولى : " أعناقا " – بفتح الهمزة – ، وعليه أكثر الروايات ، والثانية : " إعناقا " – بكسر الهمزة – ، ولم أجدها ، وقد ذكرها بعض شراح الحديث كالقاضي عياض ، والبغوي[٣] :

أما " إعناقا " – بكسر الهمزة – فقيل معناها : أكثر الناس إسراعا إلى الجنة ، أخذا من : سير العنق ، ومنه حديث " كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص "[٤] .

يقول القاضي عياض في كلامه على هذا الحديث : (ورواه بعضهم : " إعناقا " ، أي : إسراعا إلى الجنة من سير العنق ... ومنه الحديث : " كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص " .

ومنه الحديث الآخر : " لا يزال الرجل معنقا ما لم يصب دما "[١] : يعني : منبسطا في سيره يوم القيامة)[٢] .

---

(١) يقول ابن حبان في صحيحه (٤ / ٥٥٧ – ٥٥٨) : " وليس يريد بقوله ﷺ هذا أن المؤذنين هم أكثر الناس تأملا للثواب في القيامة ، وهذا مما نقول في كتبنا إن العرب تذكر الشيء في لغتها بذكر الحذف عنه ما عليه معوله ، فأراد ﷺ بقوله : " أطول الناس أعناقا " أي : من أطول الناس أعناقا ، فحذف "من" من الخبر كما قال ﷺ يحكي عن الله جل وعلا : " أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا " ، أي : من أقوام أحبهم ، وهؤلاء منهم " .

(٢) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان ، ص (١٦٣ – ١٦٤) ، رقم : (٨٥٢) ، وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة ، أورده الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص (٧١) .

(٣) انظر : إكمال المعلم (٢ / ٢٥٥) ، وشرح السنة (٢ / ٢٧٧ – ٢٧٨) ، ونقله النووي عن القاضي عياض وغيره في شرحه لصحيح مسلم (٤ / ٣١٣) .

(٤) البخاري ، كتاب الحج ، باب السير إذا دفع من عرفة ، ص (٢٧٠) ، رقم : (١٦٦٦) ، ومسلم ، كتاب الحج ، باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ، ص (٥٤٢) ، رقم : (٣١٠٦) .

وهذا المعنى – والله أعلم – ضعيف ؛ لأن ظاهر الحديث أنه إخبار عن صفتهم في أرض المحشر ، لا في دخول الجنة ، وبين أرض المحشر ودخول الجنة مفاوز ، وأهوال .

أما " أعناقا " بفتح الهمزة ، فللعلماء فيها مسلكان[٣] :

المسلك الأول : من ذهب إلى أن الحديث ليس على ظاهره ، وهؤلاء اختلفوا في معناه على أقوال ، منها :

قيل : إن معناه : أن المؤذنين أكثر الناس أعمالا ، يقال : لفلان عنق من الخير ، أي : قطعة ، قاله ابن الأعرابي .

وقيل : أكثر الناس رجاء ، وتشوفا لرحمة الله ﷻ ، لأن من رجا شيئا طال إليه عنقه ، فالناس يوم القيامة في كرب ، وهم تطول أعناقهم رجاء رحمة الله ﷻ ، وتشوفا لها .

ولعل هذا هو قول من قال : إنه كناية عن الأمن ، فهم أكثر الناس رجاء لأمنهم ، وإلا فهو قول مستقل .

يقول الطحاوي : (تأملنا ما روي عن رسول الله ﷺ في ذلك ما معناه ، فوجدنا المؤذنين أحد العاملين في الدنيا بطاعة الله تعالى مما يعانونه من الأذان ، ووجدنا الله قد ذكرهم في كتابه بأحسن ما ذكر به أحدا ممن يعمل في الدنيا بطاعته ، بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت : ٣٣] الآية .

وكان العاملون بأصناف طاعات الله في الدنيا ينتظرون يوم القيامة ثواب أعمالهم في الدنيا ، فتطاول إلى ذلك أعناقهم ، ويكونون في العلو بذلك أضدادا لما وصفهم الله من أهل

---

(١) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم ، باب في تعظيم قتل المؤمن ، ص (٥٩٩) ، رقم : (٤٢٧٠) ، والطبراني في الأوسط (٩ / ٩٥) ؛ من حديث أبي الدرداء ﷺ .

(٢) إكمال المعلم (٢ / ٢٥٥) .

(٣) انظر : إكمال المعلم (٢ / ٢٥٥) ، والمفهم (٢ / ١٥) ، وشرح النووي على صحيح مسلم (٤ / ٣١٣) ، وشرح السنة (٢ / ٢٧٧ – ٢٧٨) ، وتفسير القرطبي (٣ / ١٤٠) .

معاصيه ، والخروج عن أمره في الدنيا ، بقوله : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤] .

وكان المؤذنون فيما كانوا يعانونه من أذانهم في الدنيا ورفع أصواتهم به فوق ما غيرهم عليه من أهل الطاعات سواه في معاناتهم إياهم كانت في الدنيا ، فاحتمل أن يكونوا بعلو أصواتهم في أذانهم الذي كانوا يعانونه في الدنيا ، ومداومتهم عليه في كل يوم وليلة خمس مرات ، وإتباعهم ذلك إقامات الصلوات ، واجتهادهم في ذلك بأصواتهم ، واستعلائهم على الأمكنة التي يأتون بالأذان فيها ، مع ما في ذلك من المشقة ؛ التي لا خفاء بها ؛ جعلوا في ذلك في طول أعناقهم يوم القيامة إلى ثوابهم عليه فوق من سواهم من أهل الأعمال بطاعات الله سواه في انتظار الثواب له ، والجزاء عليه ، ولم نجد في تأويل هذا الحديث مما قال الناس فيه أحسن من هذا التأويل الذي ذكرناه فيه ، والله أعلم بما أراده رسوله في ذلك ، وإياه نسأله التوفيق)[١] .

وقيل : إنه كناية عن الدنو والقرب من الله ﷻ ، قاله يونس بن عبيد .

قالوا : ويدل لما سبق : قول النبي ﷺ لنسائه : " أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا "[٢] ، فكانت سودة أول نساء النبي ﷺ لحقت به ، وكانت أكثرهن صدقة .

فهي أكثرهن صدقة ؛ رجاء رحمة الله ﷻ ، وثوابه ، فكانت من أكثرهن ثوابا ، وعبر عن هذا بطول اليد .

وهذا القول قريب ممن قال : إن معناه : أكثرهم رجاء لرحمة الله ﷻ ، قاله القاضي عياض[٣] .

---

(١) شرح مشكل الآثار (١ / ١٩٩ – ٢٠٠) .

(٢) البخاري ، كتاب الزكاة ، ص (٢٢٩) ، رقم : (١٤٢٠) ، ومسلم ، كتاب ، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ، ص (١٠٧٩) ، رقم : (٦٣٦١) ، ولفظه عند مسلم من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا " ، قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا ، قالت : فكانت أطولنا يدا زينب ، لأنها كانت تعمل بيدها ، وتصدق .

(٣) إكمال المعلم (٢ / ٢٥٥) .

وقيل : إنه كناية عن السؤدد والرئاسة يوم القيامة ، والعرب تصف السيد والرئيس بطول العنق .

وقيل : إن معناه : أنهم أكثر الناس أتباعا ، فالأعناق : الجماعات ، يقال : جاءني عنق من الناس ، أي : جماعة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤] ، أي : جماعاتهم ، ولذلك لم يقل : خاضعات .

ومعنى الحديث : أن جمع المؤذنين يكون أكثر ، فإن من أجاب دعوته يكون معه .

وهذا – والله أعلم – مع أنه صرف للفظ عن ظاهره ضعيف .

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني سمعت أبي يقول : معنى قول النبي ﷺ : " المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة " : أن الناس يعطشون يوم القيامة ، فإذا عطش الإنسان انطوت عنقه ، والمؤذنون لا يعطشون فأعناقهم قائمة[١] .

المسلك الثاني : من ذهب إلى أن الحديث على ظاهره ، لكنه قال : إن معناه : أن المؤذنين لا يلجمهم العرق ؛ لطول أعناقهم ، فإن الناس يعرقون يوم القيامة بقدر أعمالهم ، فمنهم من يأخذه إلى كعبيه ، ومنهم إلى ركبتيه ، ومنهم إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق ، قاله النضر بن شميل .

يقول ابن العربي : (قوله ﷺ في الحديث الصحيح : " المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة " ، روي بفتح الهمزة ، جمع : عنق ، يشير بذلك إلى عزتهم ، وأمنتهم ، وارتفاع أقدارهم ، فإن الرجل إذا كان بهذه الصفة مد جيده ، وتعالى لما يريده ... ويحتمل أن يشير بطول أعناقهم إلى سلامتهم من الغرق في العرق .

وروى إعناقا ، بكسر الهمزة ، من : العنق ، والعنق – بفتح الفاء ، والعين – : ضرب من السير ، تأويله : أنهم يأتون يوم القيامة مسرعين ، غير متثاقلين ، بربهم واثقين)[٢] .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٤ / ٤٤٦) .

(٢) القبس فس شرح موطأ مالك بن أنس (١ / ١٩٩ – ٢٠٠) .

والذي يظهر – والله أعلم – أن المؤذن يطول عنقه حقيقة يوم القيامة ، وهو دلالة على فضله ، لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " المؤذنون أطول أعناقا يوم القيامة ، يعرفون بطول أعناقهم "[١] .

(١) رواه المحاملي في أماليه ص (٢٩٦) ، قال : حدثنا الحسين ، حدثنا أبو هشام الرفاعي ، جدثنا حفص ، عن عبد الله بن نافع ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ﷺ به .

الصنف السادس عشر : آكل الربا :

يقـول الله تعـالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

في الآية قولان :

القول الأول : وهو قول أغلب المفسرين : أن هذه الآية في عقوبة آكل الربا يوم القيامة[١] ، وأنه يقوم من قبره يوم القيامة كالمجنون الذي يتخبطه الشيطان ، يقول القرطبي : (قال أهل التأويل : المعنى لا يقومون من قبورهم ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، والربيع ، والسدي ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم ، قال : بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه .

وقالوا : كلهم يبعث كالمخنوق عقوبة له ، وتمقيتا عند جميع أهل المحشر .

فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا ، وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم ، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون ؛ لعظم بطونهم ، وثقلها عليهم .

نسأل الله الستر ، والسلامة ، والعافية ؛ في الدنيا والآخرة)[٢] .

القول الثاني : (أنهم لا يقومون عند التعامل بالربا إلا كما يقوم المصروع ؛ لأنهم – والعياذ بالله – لشدة شغفهم بالربا كأنما يتصرفون تصرف المتخبط الذي لا يشعر ؛

---

(١) يقول البغوي في تفسيره ص (١٧٥) : " قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ، أي : الذين يعاملون به ، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال " .

ويقول ابن عطية في تفسيره ص (٢٥٣) : " معنى هذه الآية : الذي يكسبون الربا ، ويفعلونه ، وقصد إلى لفظة الأكل لأنه أقوى مقاصد الإنسان في المال ، ولأنها دالة على الجشع ، فأقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله ، فاللباس ، والسكنى ، والادخار ، والإنفاق على العيال ، وغير ذلك ؛ داخل في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾ "ا.هـ ، وانظر : تفسير القرطبي (٢ / ٢٤٠) .

(٢) التذكرة ص (٤٩٨) .

لأنهم سكارى بمحبة الربا ، وسكارى بما يربحونه ، وهم الخاسرون ؛ فيكون القيام هنا في الدنيا شبَّه تصرفاتهم العشوائية الجنونية المبنية على الربا العظيم الذي يتضخم المال من أجل الربا بالإنسان المصروع الذي لا يعرف كيف يتصرف .

وهذا قول كثير من المتأخرين ، وقالوا : إن يوم القيامة هنا ليس له ذكر ، ولكن الله شبَّه حالهم حين طلبهم الربا بحال المصروع من سوء التصرف ، وكلما كان الإنسان أشد فقرا كانوا له أشد ظلما ؛ فيكثرون عليه الظلم لفقره ، بينما حاله تقتضي الرأفة ، والتخفيف ، لكن هؤلاء ظلمة ليس همهم إلا أكل أموال الناس)[١] .

وإن طلب الترجيح بين القولين : فالذي يظهر – والله أعلم – أن القول الأول أرجح ؛ لأنه مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ، ولأنه قول أكثر المفسرين ، بل حكي الإجماع عليه .

يقول ابن عطية : (قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسدي ، وابن زيد : معنى قوله : ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ : من قبورهم في البعث يوم القيامة ، قال بعضهم : يجعل معه شيطان يخنقه ، وقالوا كلهم : يبعث كالمجنون ؛ عقوبة له ، وتمقيتا عند جمع المحشر .

ويقوي هذا التأويل المجمع عليه أن في قراءة عبد الله بن مسعود : " لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم المجنون " .

وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون ، لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه ، وهذا كما تقول لمسرع في مشيه ، مخلط في هيئة حركاته ، إما من فزع أو غيره : قد جن هذا ، وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله :

وتصبح من غب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق

---

(١) تفسير العثيمين " الفاتحة ، والبقرة " (٣ / ٣٧٤ – ٣٧٥) .

لكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود ، وتظاهرت به أقوال المفسرين ؛ يضعف هذا التأويل)[١] .

ويرجح القول الأول حديث عوف بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "إياك والذنوب التي لا تغفر [وفي رواية : وما لا كفارة من الذنوب] ، فمن غل شيئا أتي به يوم القيامة ، وأكل الربا ، فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط " ، ثم قرأ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٧٥][٢] .

ولكن وإن ترجح القول الأول فإن القول الثاني له حظ من النظر ، ولا مانع من أن الآية تشمل حال آكل الربا في الدنيا ، وحاله في الآخرة حين قيامه من قبره ، والله أعلم .

---

(١) تفسير ابن عطية ص (٢٥٣) ، وانظر : تفسير القرطبي (٣ / ٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٦٠) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٩ / ٥٣) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١٣) .

الصنف السابع عشر : الذي يتفل تجاه القبلة :

أخبر النبي ﷺ أن من تفل تجاه القبلة فإنه يأتي يوم القيامة وتفلته في وجهه بين عينيه ، كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه "[١] .

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "يجيء صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة ، وهي في وجهه"[٢] .

ولفظ الحديثين عام يشمل التفل تجاه القبلة على كل حال ، في الصلاة ، وخارجها ، في المسجد ، وخارجه ، وفي المسألة خلاف بين أهل العلم ، يقول الصنعاني : (قد جزم النووي بالمنع[٣] في كل حالة ، داخل الصلاة ، وخارجها ، سواء كان في المسجد ، أو غيره ، وقد أفاده حديث أنس في حق المصلي ، إلا أن غيره من الأحاديث قد أفادت تحريم البصاق إلى القبلة مطلقا في المسجد ، وفي غيره ، وعلى المصلي ، وغيره ؛ ففي

---

(١) ابن حبان في صحيحه (٤ / ٥١٨) ، رقم : (١٦٣٩) ، وقال محققه : " إسناده صحيح على شرط البخاري " ، وأبو داود ، كتاب الأطعمة ، باب في أكل الثوم ، ص (٥٤٥) ، رقم : (٣٨٢٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٣١٤) ، وصحح سنده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٢) .

(٢) ابن حبان في صحيحه (٤ / ٥١٧) ، رقم : (١٦٣٨) ، وقال محققه : " إسناده صحيح على شرط البخاري " ، وابن خزيمة في صحيحه (١٣١٣) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٣) .

(٣) الصنعاني يتكلم عن حديث أنس رضي الله عنه قال : أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة ، فشق ذلك عليه ، حتى رئي في وجهه ، فقام فحكه بيده ، فقال : " إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه ، أو إن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره ، أو تحت قدميه " ، ثم أخذ طرف ردائه ، فبصق فيه ، ثم رد بعضه على بعض ، فقال : " أو يفعل هكذا " .

الحديث رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب حك البزاق باليد من المسجد ، ص (٧١) ، رقم : (٤٠٥) ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب المساجد ، باب النهي عن البصاق في المسجد ، ص (٢٢٤) ، رقم : (١٢٣٠) .

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٥ / ٤١) : " هذا عام في المسجد ، وغيره " .

صحيح ابن خزيمة وابن حبان من حديث حذيفة مرفوعا : " من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه " ، ولابن خزيمة من حديث ابن عمر مرفوعا : " يبعث صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه ")[١] .

---

(١) سبل السلام (١ / ٢٨٣ – ٢٨٤) .

الصنف الثامن عشر : من يشيب شيبة في الإسلام :

جاءت عدة أحاديث تبين فضل من شاب شيبة في الإسلام ، وتخبر أنه يأتي وله نور يوم القيامة ، ومن هذه الأحاديث :

أولا : حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة"[١] .

ثانيا : حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تنتفوا الشيب ، فإنه نور المسلم ، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كتب له بها حسنة ، ورفع بها درجة ، أو حط عنه بها خطيئة "[٢] ، وفي رواية : " الشيب نور المؤمن ، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ، ورفع بها درجة "[٣] .

ثالثا : حديث فضالة بن عبيد ﷺ أن النبي ﷺ قال : " من شاب شيبة في سبيل الله [وفي رواية : في الإسلام] ، كانت نورا له يوم القيامة "، فقال رجل عند ذلك : فإن رجالا ينتفون الشيب ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : " من شاء فلينتف نوره [وفي رواية : شيبه] "[٤] .

---

(١) ابن حبان في صحيحه (٧ / ٢٥١) ، رقم : (٢٩٨٣) ، وقال محققه : " إسناده قوي ، رجاله رجال البخاري ، غير سليم بن عامر ، فمن رجال مسلم " ، والطبراني في الكبير (١ / ٦٧) ، والطحاوي في مشكل الآثار (٩ / ٣٠٧) .

(٢) أحمد في المسند (١١ / ٢٥٣) ، رقم : (٦٦٧٢) ، وقال محققوه : " صحيح لغيره " ، والبغوي في شرح السنة (١٢ / ٩٥) .

(٣) البيهقي في الشعب (٨ / ٣٨٤) ، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم : (١٢٤٣) .

(٤) أحمد في المسند (٣٩ / ٣٧٦) ، رقم : (٢٣٩٥٢) ، وقال محققوه : " حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف ، عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ ، لكنه قد توبع ، وهو صحيح لغيره " ، والطبراني في الكبير (١٨ /

رابعا : حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " لا تنتفوا الشيب ؛ فإنه نور يوم القيامة ، ومن شاب شيبة في الإسلام كتب له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، ورفع له بها درجة"[١] .

خامسا : حديث أبي نجيح السلمي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة "[٢] .

سادسا : حديث كعب بن مرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة "[٣] .

سابعا : حديث عمرو بن عبسة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة "[٤] .

فهذه الأحاديث تبين أن من شاب في الإسلام أثابه الله عنه نورا يوم القيامة ، فيصير نفس الشيب نورا ، يقول المناوي في حديث كعب بن مرة ﷺ : (" من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة " : أي : يصير الشعر نفسه نورا ، يهتدي به صاحبه ، والشيب وان كان ليس من كسب العبد لكنه اذا كان بسبب من نحو جهادا وخوف من الله ينزل منزلة سعيه)[٥] .

---

٣٠٤) ، والبيهقي في الشعب (٨ / ٣٨٥) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم : (٣٣٧١) .

(١) ابن حبان في صحيحه (٧ / ٢٥٣) ، رقم : (٢٩٨٥) ، وقال محققه : " إسناده حسن " ، وحسن إسناده أيضا الألباني في السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم : (١٢٤٣) .

(٢) ابن حبان في صحيحه (٧ / ٢٥٢) ، رقم : (٢٩٨٤) ، وقال محققه : " إسناده صحيح " .

(٣) الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله ، ص (٣٩٤) ، رقم : (١٦٣٤) .

(٤) الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله ، ص (٣٩٤ – ٣٩٥) ، رقم : (١٦٣٥) ، وقال : " حسن ، صحيح ، غريب " .

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٤٢٤) .

والذي يظهر – والله أعلم – أن السبب في هذا : أن شيبته في الإسلام فيها دليل على كثرة طاعة المرء ، وفناء كثير من عمره في تتبع رضوان الله ﷻ ، ولا أقل من الشهادتين ، والصلاة ، وكثير من الواجبات ... فلما شاب على هذا أكرم بهذا ، ولهذا – والله أعلم – قيده بقوله : " في الإسلام " ، وجعله في الرواية الأخرى : " في سبيل الله " .

وهل هذا النور يستمر معه إلى أن يدخل الجنة ، أم في موقف دون آخر ؟ ، ثم إذا لم يستمر : هل يكون في المحشر ، أم قبل المرور على الصراط ؟ .

الذي يترجح – والله أعلم – أن هذا النور إنما يكون في المحشر ، لأن أدلة إعطاء النور يوم القيامة قبل الصراط عامة ، ولا أعلم أنها جاءت خاصة ، وأدلة الحشر جاءت بهذا وهذا ، فهذا مما يرجح أن هذا النور في الموقف ، والله أعلم .

ويقول المباركفوري في حديث كعب بن مرة : (" من شاب شيبة " : أي شعرة واحدة بيضاء ، " في الإسلام " : يعني : أعم من أن يكون في الجهاد ، أو غيره ، " كانت له نورا يوم القيامة " : أي : ضياء ومخلصا عن ظلمات الموقف ، وشدائده)[١] .

أما القول بأن النور يستمر معه إلى دخول الجنة فهو – والله أعلم – بعيد جدا ، فأكثر الأدلة التي جاءت في يوم القيامة تدل على أنه يوم طويل ، يمر المرء فيه بأهوال ، ومراحل ، من : حشر ، ودنو شمس ، وعرق ، وحساب ، وإيتاء للكتب ... وعبور للصراط ، وما يحصل في كل موقف لا يكاد يحصل في غيره .

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا النور يستمر معه إلى أن يدخل الجنة ، يقول المناوي في حديث كعب بن مرة : (" من شاب شيبة في الإسلام [وفي رواية : " في سبيل الله "] كانت له نورا يوم القيامة " : أي : يصير الشيب نفسه نورا يهتدي به صاحبه ، ويسعى بين يديه في ظلمات الحشر إلى أن يدخله الجنة ، والشيب وإن لم يكن من كسب العبد ، لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزلة سعيه

---

(١) تحفة الأحوذي (٥ / ٢٥٣ – ٢٥٤) .

، فيكره نتف الشيب ، من نحو لحية ، وشارب ، وعنفقة ، وحاجب ، وعذار ، للفاعل ، والمفعول به ، قال النووي : ولو قيل : يحرم لم يبعد)[١] .

---

(١) فيض القدير (٦ / ٢٠٢) .

الخاتمة

لعل أهم ما جاء في البحث كما يأتي :

- الحشر في اللغة : من : حشر ، يحشر ، حشرا ، فهو حاشر ، ومحشور ، ومحشر ، وأصل الكلمة يدور على الجمع ، وقيل : هو : جمع مع سوق ، فالمحشر : المجمع الذي يحشر إليه القوم ، والحشر يوم القيامة حشران : الأول : جمع الناس بعد بعثهم من قبورهم يوم القيامة ، وسوقهم إلى صعيد واحد للحساب والجزاء ، والثاني : جمع الناس يوم القيامة ، وعليه الحشر اصطلاحا : هو جمع الناس بعد بعثهم من قبورهم يوم القيامة ، وسوقهم إلى صعيد واحد للحساب والجزاء ، وجمع الناس يوم القيامة ، وسوقهم إلى الجنة أو النار ، والحشر الأول المتبادر إلى الذهن ، والمقصود الأول عند ذكر الحشر .

- حشر الناس يوم القيامة جاء في الأدلة على قسمين : الأول : حشر عام لجميع الناس ، الثاني : حشر على وجه خاص لأصناف مخصوصين .

أما الأول وهو : حشر عام لجميع الناس : فيحشر الناس يوم القيامة حفاة ، عراة ، غرلا ، بهما ، وتدنوا الشمس منهم حتى تكون على قدر ميل ، فيعرق الناس على قدر أعمالهم ، وهؤلاء منهم من يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ، ولعله أقصى ما ينزل إليه العرق في الأرض ، ومنهم من يكون عرقه ظاهرا مشاهدا حول جسده ، فعرق كل إنسان خاص به ، فمنهم من يكون عرقه إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يبلغ أنصاف أذنيه ، فيلجمه العرق إلجاما ، ولعله أقصى ما يصل إليه العرق إلى بدن الإنسان ، ومنهم من لا يعرق البتة .

وأما الثاني وهو : حشر على وجه خاص لأصناف مخصوصة فبوجه عام كل شخص يبعث يوم القيامة على ما مات عليه في الدنيا ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تصف أحوال أناس كثر حال حشرهم يوم القيامة ، وهم أصناف : الأول : المؤمنون ، والثاني : الكفار ، والثالث : المتكبرون ، والرابع : السائلون ، والخامس : أصحاب الغلول ، والسادس : أهل الوضوء ، والسابع : أهل الغدر ، والثامن : الحجاج ، والمعتمرون ، والتاسع : مانع الزكاة ، والعاشر : من يظلم

شبرا من الأرض ، والحادي عشر : من يستظل بظل العرش يوم القيامة ، والثاني عشر : المقتول ، والثالث عشر : النائحة ، والرابع عشر : من يأتي يوم القيامة ، وجرحه يسيل ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، وهما : الشهيد ، والمتوفي بالطاعون ، والخامس عشر : المؤذنون ، والسادس عشر : آكل الربا ، والسابع عشر : الذي يتفل تجاه القبلة ، والثامن عشر : من يشيب شيبة في الإسلام .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على عبده ونبيه ورسوله محمد .

فهرس المراجع

– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، خرج آياته ، وأحاديثه : محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولىٰ ، ١٤٢١ هـ .

– إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، سوريا ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

– البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف بن حيان ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

– الأحاديث المختارة (أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما) ، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ، دراسة وتحقيق معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ هـ .

– أحكام الجنائز ، وبدعها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولىٰ ، ١٤١٢ هـ .

– إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض اليحصبي ، تحقيق الدكتور يحيىٰ إسماعيل ، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ .

– تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ومعه شفاء الغلل في شرح كتاب العلل لأبي عيسىٰ الترمذي ، اعتنىٰ بها علي محمد عوض وَ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢ هـ .

– التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق ودراسة الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، الطبعة الأولىٰ ، ١٤٢٥ هـ .

– تفسير البغوي ، للحسين بن مسعود ، البغوي ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ .

– تفسير الطبري ، لمحمد بن جرير ، الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ هـ .

– تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق : مصطفى السيد محمد ، ومحمد السيد رشاد ، ومحمد فضل العجماوي ، وعلي أحمد عبد الباقي ، وحسن عباس قطب ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ .

– جامع الترمذي ، لمحمد بن عيسى ، الترمذي ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

– حاشية السندي على مسند الإمام أحمد ، محمد بن عبد الهادي السندي ، حققه ، وضبط نصه ، وعلق عليه أبو معاذ طارق عوض الله ، دار المأثور للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٣١ هـ .

– زاد المسير في علم المسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ .

– سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين ، الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .

– سلسلة الأحاديث الضعيفة ، لمحمد ناصر الدين ، الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ .

– سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث ، السجستاني ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

– سنن ابن ماجه ، لمحمد ، بن يزيد ، ابن ماجه ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

– شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، الحنفي ، خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٦ هـ .

- شعب الإيمان ، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، علي ابن بلبان الفارسي ، حققه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ .
- صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل ، البخاري ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ .
- صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج ، القشيري ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لمحمود أحمد ، العيني ، تقديم : محمد أحمد حلاق ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي ، بن حجر ، العسقلاني ، رقم كتبه ، وأبوابه ، وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه ، وتصحيح تجاربه : محب الدين الخطيب ، راجعه : قصي الدين محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ .
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥ هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي ، الهيثمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، إعداد : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ، ١٤٢٥ هـ .
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للملا علي ، القاري ، قدم له : خليل الميس ، قرأه ، وخرج حديثه ، وعلق عليه ، وصنف فهارسه : صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .

– المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله ، الحاكم ، إعداد : الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، **١٤١٩** هـ .

– مسند الإمام أحمد ، لأحمد بن حنبل ، الشيباني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، **١٤٢٠** هـ .

– المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، لأحمد بن عمر ، القرطبي ، حققه ، وعلق عليه ، وقدم له : محيي الدين ديب مستو ، ويوسف علي بديوي ، وأحمد محمد السيد ، ومحمود إبراهيم بزال ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، **١٤٢٦** هـ .

– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، تحقيق وتخريج وترقيم الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة السابعة عشرة ، **١٤٣٠** هـ .